تَفسير إنجيل يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر

(الإصحاحات ١١-١٣)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

Study Booklet Twenty-Six

The Gospel of John
Verse By Verse
(Chapters 11-13)

بَرنامج "في ظِلالِ الكلمة"

كُتَيِّب رَقَم ٢٦

إنجيل يُوحَنَّا مُفسَّراً عدداً بعدَ الآخر
(الإصحاحات ١١-١٣)

بِقَلم: القَسّ الدُكتُور دِكْ وُودوُورد
تَرجمَة: القَسّ الدُكتُور بيار فرنسيس

الفَصلُ الأوَّل
"مشاكلُ الحياة المُستَعصِيَة"
(يُوحَنَّا ١١: ١- ١٦)

نُقَدِّمُ لكُم الكُتَيِّبَ الرَّابِع من بينِ سِتَّةِ كُتَيِّباتٍ تُؤَلِّفُ سِلسِلَةً تفسيريَّةً لأُولئكَ الذين تابَعُوا معنا بَرامِجَنا المئة والثلاثين، التي دَرَسنا فيها معاً إنجيلَ يُوحَنَّا، عدداً بعدَ الآخر. فإذا لم تكُن الكُتَيِّباتُ الثلاثَةُ الأُولى بِحَوزَتِكُم، أُشَجِّعُكُم أن تَكتُبُوا لنا وتَطلُبُوا هذه الكُتَيِّباتِ، لأنَّها ستُوَفِّرُ لكُم أساساً يُساعِدُكُم على فَهمِ هذا الكُتَيِّب وهذه الدِّراسَة المُعَمَّقَة لإنجيلِ الرَّسُول يُوحَنَّا.

سوفَ نَجِدُ أنَّ الإصحاحَ الحادِي عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا هُوَ واحِدٌ من أكثَرِ الإصحاحاتِ إثارَةً للإهتِمامِ، ليسَ في هذا الإنجيل فحَسب، بل لَرُبَّما في الكتابِ المُقدَّسِ بكامِلِهِ. وسوفَ يُعطِينا هذا الإصحاحُ بَعضَ الأجوبَةِ الرَّائِعة على أسئِلَتِنا المِفتاحِيَّة الثلاثة. بينما تقرَأُونَ الإصحاحَ الحادِي عشر، فتِّشُوا عنِ الأجوبَةِ للأسئِلَةِ التَّالِيَة: من هُوَ يسُوع؟ ما هُوَ الإيمانُ؟ وما هِيَ الحياةُ؟ نجدُ إطارَ أو خَلفِيَّةَ المُحتَوى العَميق للإصحاحِ الحادِي عَشَر إبتداءً منَ العدد الأربَعين منَ الإصحاحِ العاشِر حيثُ نقرَأُ:

"ومضى [يسُوعُ] أيضاً إلى عبرِ الأُردُنِّ إلى المكانِ الذي كانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فيهِ أوَّلاً ومَكَثَ هُناك. فأتى إليهِ كَثيرُونَ وقالُوا إنَّ يُوحَنَّا لم يفعَلْ آيَةً واحِدَةً. ولكنْ كُلّ ما قالَهُ يُوحَنَّا عن هذا كانَ حَقّاً. فآمنَ كَثيرُونَ بهِ هُناكَ.

"وكانَ إنسانٌ مَريضاً وهُوَ لِعازارُ من بَيتِ عنيا من قَريَةِ مَريَم ومرثا أُختِها. وكانَت مريَمُ التي كانَ لعازارُ أَخُوها مريضاً هي التي دَهَنتِ الرَّبَّ بِطِيبٍ ومَسَحتْ رِجلَيهِ بِشَعرِها. فأرسَلَتِ الأُختانِ إليهِ قائِلَتَين يا سَيِّد هُوَّذا الذي تُحِبُّهُ مَريضٌ. فلمَّا سَمِعَ يسُوعُ قالَ هذا المَرَضُ ليسَ لِلمَوت بل لأجلِ مجدِ اللهِ لِيَتَمَجَّدِ إبنُ اللهِ بهِ. وكانَ يسُوعُ يُحِبُّ مَرثا وأُختَها ولِعازار. فلمَّا سَمِعَ أنَّهُ مَريضٌ مكَثَ حينئذٍ في المَوضِعِ الذي كانَ فيهِ يَومَين."

يبدَأُ هذا الإصحاحُ بِقِصَّةِ رَجُلٍ يُدعَى لِعازار، كانَ لَدَيهِ شَقيقَتانِ، مريم ومرثا. كانُوا يَعيشُونَ في بَيتِ عنيا، وهي ضاحِيَةٌ من ضَواحِي أُورشَليم، تبعُدُ عنها ما يَقِلُّ عن ثلاثَةِ كيلومترات. عندما كانَ يسُوعُ في

أُورشَليم، إعتادَ أن يمكُثَ معَ هذه العائِلة. وعندما تورَّطَ في ذلكَ الحِوارِ العدائِيّ معَ رِجالِ الدِّين في أُورشَليم، لا بُدَّ أنَّ هذا الحوار أتعَبَهُ كثيراً. ويبدُو أنَّهُ إعتادَ أن ينسَحِبَ إلى بيتِ عنيا ليَمكُثَ معَ هذه العائِلَةِ التي أحبَّها كثيراً، والتي كانت تتألَّفُ من ثلاثَةِ أشخاصٍ.

ينتَهي الإصحاحُ العاشِرُ مُقَدِّماً لنا يسُوع وهُوَ في البَرِّيَّةِ وراءَ نهرِ الأُردُنّ، حَيثُ كانَ يُوحَنَّا المعمدان يكرِزُ ويُعَمِّدُ. إذا قُمتُم بِزِيارَةِ الأراضِي المُقَدَّسَة، يُمكِنُكُم أن تُسافِرُوا بالسَّيَّارَةِ أربَعَ ساعاتٍ جَنُوبَ أُورشَليم. وبعدَ ذلكَ سوفَ يُشِيرُ دَليلُكُم نحوَ منطَقَةٍ شاسِعَةٍ في البَرِّيَّةِ تجاهَ الأُردُنّ ويَقُولُ: "هُناكَ كانَ يُوحَنَّا المعمدان يَقُومُ بِخِدمَتِهِ." نقرَأُ أنَّ الكَثيرينَ كانُوا يخرُجُونَ منَ أُورشَليم إلى البَرِّيَّةِ ليَسمَعُوا وعظَ هذا الإنسان الذي قالَ عنهُ يسُوعُ أنَّهُ كانَ الأعظَمَ بينَ أنبياءِ العهدِ القَديم. (متَّى ١١: ١١؛ لُوقا ٧: ٢٨).

بِحَسَبِ الأعدادِ الأخيرة من هذا الإصحاحِ العاشِر، كانَ يسُوعُ قد قامَ بِخدمَةٍ مُثمِرَةٍ جدَّاً في البَرِّيَّةِ عندما وصَلَهُ الخَبَرُ عن مَرَضِ لِعازار المُمِيت. في هذه المرحلة من خدمَتِهِ، كانَ يسُوعُ يتعرَّضُ للرَّفضِ والمُقاوَمَةِ من قِبَلِ رِجالِ الدِّين في أُورشَليم، ولكنَّهُ عندما ذهبَ إلى البَرِّيَّةِ، نقرَأُ أنَّ المَزيدَ منَ النَّاسِ جاؤُوا لِيَسمَعُوهُ، أكثَرَ جدَّاً منَ الذين خرجُوا سابِقاً ليَسمَعُوا يُوحَنَّا المعمدان. نقرَأُ أنَّ هؤُلاء قالُوا: "رُغمَ أنَّ يُوحَنَّا لم يَصنَعْ أيَّةَ مُعجِزَةٍ، ولكن كُلّ ما قالَهُ عن هذا الرَّجُل كانَ صَحيحاً. فآمنَ كَثيرُونَ هُناكَ." هكذا نَجِدُ يسُوعَ في بِدايَةِ قِصَّتِنا هذه.

كانَتِ القِصَّةُ قد بدَأَت بالحقيقَةِ في بَيتِ عنيا، حَيثُ كانَ لِعازارُ مَريضاً. وكانت كلمة "مريض" التي إستُخدِمَت في رِسالَةِ الشَّقيقَتَين إلى يسُوع، كانت تعني: "مريضاً مرضاً مُمِيتاً." ولقد سبقَ لُوقا وعَرَّفَنا على هاتَينِ الأُختَين في إنجيلِهِ. إذا كُنتُم تذكُرُونَ الطَّريقَة التي عرَّفَنا بها لُوقا على هاتَينِ الشَّقِيقَتين، كانَ يسُوعُ ذاهِباً إلى بَيتِ عنيا، ولرُبَّما لِزيارَةِ منزلِ هاتَينِ الشَّقيقَتين لأوَّلِ مرَّة. كانت نظرَةُ مرثا نحوَ زِيارَةِ يسُوع لمنزِلِهما مُفعَمَةً بالإهتمامِ البالِغ، وكانَ ينبَغي أن يَكُونَ كُلُّ شَيءٍ مُرتَّباً، وأن يكُونَ الطَّعامُ لائِقاً.

أما مريَمُ فكانت مُختَلِفَةً تماماً عن شَقيقَتِها مرثا. نظَرَت مريَمُ لِزِيارَةِ المُعَلِّم بالطَّريقَةِ التَّالِيَة: "كَلِمَةُ اللهِ الأزَلِيّ صارَ جسداً، وها هُوَ آتٍ لِيَزُورَ

منزِلِي. أهَمُّ أمرٍ في هذه الزِّيارَة هي أن أجلِسَ عندَ قدَمَيهِ وأسمَعَ كَلِمَتَهُ، مُصغِيَةً إلى كُلِّ ما سيُظهِرُهُ ويَقُولُهُ لي عنِ الله." وهكذا جَلَسَت مريمُ في غُرفَةِ الجُلُوس تُصغِي لتَعليمِ يسُوع بالكتابِ المُقدَّس، أمَّا مرثا فقَبَعَت في المَطبَخِ تَخدُمُ وتُعِدُّ الطَّعام. فجاءَت مرثا غاضِبَةً إلى دَرسِ الكتابِ المُقدَّس ووبَّخَت يسُوعَ بِقَسوَة.

لا نحتاجُ الكَثيرَ لنتساءَلَ عمَّا كانت تُفَكِّرُ بهِ مرثا. فنَبرَةُ صَوتُها كانت تعكِسُ فُقدانَ صَبرِها، عندما كانت تتذَمَّرُ قائِلَةً بِصراحَةٍ أنَّها تُرِكَتْ وحيدَةً لِتَهتَمَّ بِكُلِّ التَّحضِيراتِ والطَّعامِ في المَطبَخ، أمَّا مريَمُ فلم تهتَمّ بمُساعَدَتِها. كانت مرثا تُريدُ بِوُضُوحٍ أن يحكُمَ الرَّبُّ في هذه المسألَة، ظَنًّا منها أنَّهُ سيَقِفُ إلى جانِبِها.

أمَّا يسُوع فلم يَقِفْ إلى جانِبِ مرثا. لقد كانَ يُحِبُّ مَرثا، لأنَّ الكتابَ يَقُولُ صَريحاً أنَّ يسُوع أحَبَّ مرثا ومريم ولعازار. أنا مُتَيَقِّنٌ أنَّ يسُوع نظَرَ إلى مرثا بمحبَّةٍ عندما قالَ لها: "مرثا مرثا، تهتَمِّينَ بِأُمُورٍ كَثيرَةٍ والحاجَةُ إلى واحِد. شَيءٌ واحِدٌ مُهِمٌّ وهُوَ الذي إختارَتْهُ مريم. لقدِ إختارَت مريَمُ النَّصيبَ الصَّالِحَ الذي لن يُنزَعَ منها." لم يتردَّدْ يسُوعُ بالوُقُوفِ إلى جانِبِ مريَم. ولكنَّهُ وجَّهَ هذه الكلماتِ بمحبَّةٍ إلى مرثا.

هاتَانِ هُما المَرأتانِ اللَّتانِ نَلتَقِيهِما مُجَدَّداً هُنا في الإصحاحِ الحادِي عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا. وعندَما نَلتَقِيهِما، نجدُهُما يُواجِهانِ أصعَبَ مُشكِلَتَين مُستَعصِيَتَين في الحَياة: المَرض والمَوت. حتَّى معَ كُلِّ عُلُومِنا الطِّبِّيَّة وتقَدُّمِنا التِّقَنِيّ، لا يزالُ المَرَضُ والمَوتُ أكثَرَ مُشكِلَتَينِ مُستَعصِيَتَين في الحياة. ولقدِ إجتاحَت هاتانِ المُشكِلَتَانِ حياةَ هاتَينِ الشَّقِيقَتَينِ عندما إكتَشَفَتا أنَّ أخيهما لِعازار كانَ مُصاباً بِمَرَضٍ مُمِيت.

فكانتِ الرِّسالَةُ المُستَعجِلَةُ التي أرسَلَتا بها إلى يسُوع في البَرِّيَّة، هي التَّاليَة: "يا رَبّ، الذي تُحِبُّهُ مَريضٌ." لَم تطلُبْ الشَّقِيقَتانِ أيَّةَ طِلبَةٍ. بل قدَّمَتا لهُ المعلُوماتِ بِبَساطَةٍ كامِلَة. أرادَتا التأكُّد بأنَّهُ يعلَمُ بحالِ أخيهما. فلقد آمنتا بِدُونِ شَكٍّ أنَّهُ إذا عَلِمَ، فإنَّ مُشكِلَتَهُما المُستَعصِيَة سوفَ تَجِدُ حَلاً لها.

لقد تمتَّعتا بِذلكَ النَّوع منَ الإيمانِ والثِّقَةِ بيسُوع، الذي يُضِيفُ على لائِحَةِ أجوِبَتِنا على السُّؤال: "ما هُوَ الإيمانُ؟" تُعَلِّمُنا رِسالتهُما عنِ الطَّريقَةِ

التي بها ينبَغي أن نُقَدِّمَ مشاكِلَنا إلى يسُوع. فكُلُّ ما ينبَغي أن نعمَلَهُ هُوَ أن نقتَدِيَ بمِثالِ هاتَينِ الشَّقِيقَتَين، ونحرَصَ على أن يعلَمَ الرَّبُّ بحالِ مُشكِلَتنا.

لَدَيَّ شَقيقَةٌ أكبَر منِّي سِنَّاً، وهِيَ التي قادَتني إلى الإيمانِ بالرَّبّ، عندما كُنتُ لا أزالُ في الثَّامِنَةِ عشرَة من عُمرِي. ولقد قامَت هي وزَوجُها الذي كانَ قَسِّيساً، بِرِعايَتي لأكثَر من أربَعينَ سنَةً عندما أصبَحتُ قَسِّيساً. وعندما كانت تحصُلُ مُشكِلَة حقيقيَّة، عادةً ما كانت تَقُولُ: "الرَّبُّ يعلَمُ، الرَّبُّ يعرِفُ." قالَت هذا عندما كانت زوجَتي مريضَةً بِشَكلٍ خَطير. أتَذَكَّرُ أنَّني قُلتُ لها: "وماذا يعني هذا؟ كيفَ يُمكِنُ أن يُعَزِّيَنِي مُجَرَّدُ علمُ الرَّبِّ بِمُشكِلَتي؟"

فأجابَتني شَقيقَتي بالقَول، "أنتَ تعلَمُ أنَّ الرَّبَّ هُوَ جَوهَرُ المحبَّة. وهُوَ قادِرٌ على كُلِّ شَيءٍ، ولا يعسُرُ عليهِ أمرٌ. فإن كُنتَ تعلَمُ أنَّهُ يعرِفُ بِمُشكِلَتِكَ المُستَعصِيَة، وبما أنَّهُ المحبَّة الكامِلَة ولدَيهِ كُلّ قُدرَة في السَّماءِ وعلى الأرض، فكُلُّ ما تحتاجُ أن تَعرِفَهُ هُوَ أنَّهُ هُوَ يعرِفُ بحالِكَ. هذهِ هي الرُّوحُ التي بها أرسَلَت مرثا ومريَم بِخَبَرِ مَرَضِ أخيهما لعازار إلى يسُوع. وعلينا أن نقتدِيَ بِمِثالِهِما، وأن نُقَدِّمَ مشاكِلَنا إلى يسُوع. عندما إستَلَمَ يسُوعُ هذا الخَبَر، كانَ تجاوُبُهُ غيرَ إعتِيادِيٍّ، الأمرُ الذي يَضَعُنا أمامَ تَحَدٍّ كبير خلالَ إجابَتِنا عمَّا هُوَ الإيمانُ في إنجيلِ يُوحَنَّا.

قالَ يسُوعُ: "هذا المَرَضُ ليسَ لِلمَوت." تَقُولُ إحدَى التَّرجَمات: "القصدُ منَ هذا المَرَض ليسَ الموت." هذا تجاوُبٌ أو جوابٌ مُحَيِّرٌ ومُربِكٌ، لأنَّهُ يُلَمِّحُ إلى كَونِ القَصدِ من بعضِ الأمراضِ المَوت. هل سبقَ وتأمَّلتُم بهذا؟ يُعَلِّمُ الكِتابُ المُقدَّسُ بِوضُوحٍ أنَّ الحياةَ الأبديَّةَ هي ذات قيمَة أسمَى جدّاً من حياتِنا الأرضِيَّة الزَّمَنِيَّة. فالحالَةُ الأبديَّةُ هي أفضَلُ جدّاً منَ الحياةِ التي يُعطِينا إيَّاها اللهُ هُنا.

كثيرُونَ يعلَمُونَ أنَّ الكتابَ المُقدَّسَ يُعَلِّمُ في عِدَّةِ أماكِن وطُرُق أنَّ أعظَمَ البَركاتِ الرُّوحيَّة تَكمُنُ أمامَنا، إذ تنتَظِرُنا في الحالَةِ الأبديَّة. رُغمَ ذلكَ، فنحنُ لا نُمعِنُ التَّفكِيرَ في هذه القَضِيَّة: كيفَ يَنقُلُنا الرَّبُّ منَ الحالَةِ الزَّمَنِيَّةِ إلى الحالَةِ الأبديَّة؟ فهُوَ غالِباً ما يستَخدِمُ مشاكِلَ المَرَضِ والمَوت المُستَعصِيَة، لِيَنقُلَنا إلى المَجالِ الأبديِّ من وُجُودِنا.

هذا ما قَصَدَهُ يسُوعُ عندما أجابَ على الخَبَرِ الذي أرسَلَتْهُ مريَمُ ومرثا عن أخيهما لِعازار، بِقَولِهِ: "القَصدُ من هذا المَرَض ليسَ المَوت. قد ينتُجُ عنهُ المَوتُ، ولكنَّهُ لن ينتَهِيَ بالمَوت." ويُتابِعُ قائِلاً: "كلا، بل لِيَظهَرَ مجدُ الله، ليتَمَجَّدَ إبنُ اللهِ فيهِ."

يُرينا هذا أنَّ القَصدَ من هذا المَرَض يَصِلُ إلى ما هُوَ أبعدُ منَ الطَّريقَة التي تُرينا أنَّ محبَّةَ يسُوع تَصِلُ إلى ما هُوَ أبعد منَ الحالَةِ الأبديَّة. هذا القَصدُ هُوَ مجدُ الله، وأن يتمجَّدَ إبنُ اللهِ من خلالِ مَوتِ وإقامَةِ شَقيق مريم ومرثا منَ الموت.

أتَذكُرُونَ أنَّهُ قالَ الشَّيءَ نفسَهُ في الإصحاحِ التَّاسِع، عنِ الرَّجُلِ الذي شَفاهُ بعدَ أن كانَ أعمَى منذُ وِلادَتِهِ؟ قالَ يسُوعُ ما معناهُ: "هذا الرَّجُل وُلِدَ أعمَى، ليسَ بِسَبَبِ خَطِيَّةٍ إرتَكَبَها هُوَ ولا والِداهُ، بل القَصدُ من عماهُ هُوَ أن تظهَر أعمالُ اللهِ من خلالِ شفائِهِ منَ العَمَى." ومنَ الواضِحِ أنَّ الحَقيقَةَ نفسَها مُعلَنَةٌ هُنا.

إن كُنَّا نتَمَحوَرُ حَولَ أنفُسِنا فنتساءَلُ عن كُلِّ ما يحدُثُ لنا: "لماذا يحدُثُ لي هذا؟ وماذا أنتَفِعُ منهُ؟" قد لا نأخُذُ بِعَينِ الإعتِبار العِنايَةَ الإلهيَّةَ أو مجدَ اللهِ في نظرَتِنا للأُمُور. ولكن إن كانت حياتُنا تتمحوَرُ بالأحرى حولَ المسيحِ والله، عندما تحدُثُ مشاكِلُ ساحِقَة في حياتِنا، نُوبِّخُ ونُؤَدِّبُ أنفُسَنا بالسُّؤال: "يا الله، كيفَ يُمكِنُ لهذه الظُّرُوف المأسَاوِيَّة التي ليسَ لنا يدٌ فيها، أن تُمَجِّدَكَ أو أن تُمَجِّدَ إبنَكَ يسُوع في حياتِي؟" وهل يُمكِنُ لهذهِ المُشكِلَة أن تُمَجِّدَ المسيح، وأن تُعلِنَ كلمَةَ الحياةِ لِلَّذِينَ يُراقِبُونَ تجاوُبِي معَ هذه الأزمَة؟

يُوجَدُ عَدَدٌ مُرادِفٌ في سفرِ المزامِير، يَقُولُ، "إذا سَقَطَتِ الأعمِدَةُ [في حياتِك]، فالصِّدِّيقُ ماذا يفعَلُ؟" (مزامير ١١: ٣). إذا طَرَحنا هذا السُّؤال، سوفَ نَجِدُ غالِباً قصداً ومعنىً في أزماتِ مرَضِنا وألَمِنا، بما في ذلكَ عندما يُخبِرُنا تقريرُ الطَّبيبِ أنَّنا سنمُوتُ قريباً.

يُحَيِّرُني العددُ الذي يَقُولُ: "ولقد أحَبَّ يسُوعُ مرثا وأُختَها ولِعازار. ولكنَّهُ عندما سَمِعَ أنَّ لِعازار كانَ مَريضاً، مكَثَ حَيثُ كانَ يَومَين." (يُوحَنَّا ١١: ٥ و٦).

لقد أصبَحتُ قَسِّيساً أرعى كَنيسة منذُ العام ١٩٥٦. أحياناً وجدتُ أنَّهُ منَ الضَّرُورِيِّ أن أستَخدِمَ هذا المَثَلَ لأُفَسِّرَ أنَّهُ حتَّى يسُوع لم يَكُنْ مَوجُوداً في كُلِّ مكانٍ جَسَدِيَّاً. فلم يَكُنْ بإمكانِهِ أن يتواجَدَ في مكانَينِ في وقتٍ واحِد. فماذا لو واجَهَ الرَّبُّ نَفسُهُ المُشكِلَةَ التي أُواجِهُها عندما أكُونُ في زِيارَةِ أحدِ أعضاءِ الكنيسةِ لأُشَجِّعَهُ، ممَّا يمنَعُني من أن أكُونَ في زيارَةِ عُضوٍ آخر منَ الرَّعِيَّة، إذا إحتاجَني في الوقتِ ذاتِهِ. أتَساءَلُ كم منَ الوقتِ سَيَبقَى راعي الكنيسة قَسِّيساً في كَنيستِهِ، إذا أجابَ دعوَةً لِزيارَةِ أحدِ أعضاءِ كنيستِهِ لكونِهِ مَريضاً على فِراشِ المَوت، إذا أجابَهُ هذا القَسِّيسُ بأنَّهُ إنطِلاقاً من محبَّتِهِ لهذا الأخ المَريض، سيَبقَى الرَّاعي مكانَهُ ولن يَزُورَ هذا المريض إلى أن يَكُونَ قد تُوُفِّيَ.

ولكن لا بُدَّ أنَّهُ كانَ لدَى الرَّبّ يسُوع قَصدٌ في تأخُّرِهِ. تبدُو لنا هذه القِصَّة الشَّيِّقَة وكَأنَّها مُصَغَّرٌ لِسِفرِ أيُّوب. منَ الواضِحِ أنَّ يسُوعَ كانَ يُتيحُ فُرصَةً لهاتَينِ الأُختَينِ ولِشَقِيقِهما أن يختَبِرا مشاكِلَ المَرَضِ والمَوت، لأنَّهُ أحبَّهُم محبَّة آغابِّي. وهُوَ يعرِفُ أنَّ إختِبارَهُم لهذه المشاكِل سيُعطِي مجداً للهِ الآب، والإبن نفسُهُ سيتمجَّدُ من خلالِ موتِ لعازار. ولكن علينا أن نُرَكِّزَ على مُلاحَظَةٍ يُوحَنَّا بأنَّ يسُوعَ أجَّلَ وُصُولَهُ لأنَّهُ أحَبَّ أُولئِكَ الأشخاصِ الثَّلاثَة، أي لِعازار ومريم ومرثا.

منَ المُثيرِ للإهتمامِ أنَّهُ عندما أرسَلَتِ الشَّقيقتانِ بالرِّسالَةِ القائِلة: "الذي تُحِبُّهُ مَريضٌ،" إستَخدَمَتا كَلِمَة "فيليُو" للتَّعبيرِ عن "تُحِبُّهُ،" والتي تتضمَّنُ معنَى الصَّداقَة، أو تلكَ المحبَّة التي يُعَبِّرُ عنها شَخصٌ يُحِبُّ العَمَلَ الصَّالِحَ. ولكن عندما نقرَأُ العددَ القائِلَ: "لأنَّ يسُوعَ أحَبَّ مرثا وأُختَها مريم ولعازار،" الكلِمَةُ اليُونانِيَّةُ المُستَخدَمَةُ لمحبَّة هي: "آغابِّي." لقد إستَخدَمَ يسُوعُ هذه الكلمة التي تُعَبِّرُ عن نوعِيَّةِ محبَّتِهِ لهُم، والتي لم يُحِبُّهُم أحدٌ بهذا النَّوع منَ المحبَّةِ من قَبل. واضِحٌ أنَّ هذه المحبَّة كانت الدَّافِع الكامِن وراءَ تأخيرِ يسُوع، ولكن ماذا كانت أهدافُهُ منَ السَّماحِ لهَؤُلاء الأشخاصِ الثَّلاثَة بأن يختَبِرُوا المرضَ والموت؟

سوفَ نَجِدُ الجوابَ على هذا السُّؤال من باقِي الحدَث: "ثُمَّ بعدَ ذلكَ قالَ لِتلاميذِهِ لِنَذهَبْ إلى اليَهُوديَّة أيضاً. قالَ لهُ التَّلاميذُ يا مُعَلِّم الآنَ كانَ اليَهُودُ يَطلُبُونَ أن يَرجُمُوكَ وتذهَبُ أيضاً إلى هُناك. أجابَ يسُوعُ أليسَت

ساعاتُ النَّهارِ إثنَتَي عشرَةَ. إن كانَ أحدٌ يَمشي في النَّهارِ فلا يعثُرُ لأنَّهُ ينظُرُ نُورَ هذا العالم. ولكن إن كانَ أحدٌ يمشِي في اللَّيلِ يعثُرُ لأنَّ النُّورَ ليسَ فيهِ.

"قالَ هذا وبعدَ ذلكَ قالَ لهُم لِعازَر حَبيبُنا قد نام لَكِنِّي أَذهَبُ لأُوقِظَهُ. فقالَ تلاميذُهُ يا سَيِّد إن كانَ قد نامَ فهُوَ يُشفَى. وكانَ يسُوعُ يَقُولُ عَن مَوتِهِ. وهُم ظَنُّوا أنَّهُ يَقُولُ عن رُقادِ النَّوم. فقالَ لَهُم يسُوعُ حَينَئِذٍ علانِيَةً لِعازر مات. وأنا أفرَحُ لأجلِكُم إنِّي لم أكُنْ هُناكَ لتُؤمِنُوا ولكن لِنَذهَبْ إليهِ.

"فقالَ تُوما الذي يُقالُ لهُ التَّوأمُ للتَّلاميذ رُفَقائِهِ لِنَذهَبْ نحنُ أيضاً لِكَي نَمُوتَ مَعهُ." لاحِظُوا أنَّهُ عندَما آمنَ الرُّسُلُ أنَّ المسيحَ إتَّخذَ قراراً بأن يُعَرِّضَ نفسَهُ للخَطَرِ الكبير، نَجِدُ أن من نُسَمِّيهِ "تُوما المُشَكِّك،" هُوَ الذي قالَ، "لِنذهَبْ نحنُ أيضاً لكَي نَمُوتَ معَهُ!"

أوضحَ يسُوعُ لهؤُلاء الرِّجالِ أنَّهُ أصبَحَ الآنَ على وَشكِ الإنتِقالِ إلى اليَهُوديَّة (أي إلى أُورشَليم)، وبالطَّبعِ إلى بَيتِ عنيا." فذَكَّرُوهُ أنَّهُ فقط من فترَةٍ وجيزَة (كما نقرَأُ في الإصحاحِ الثَّامِن والعاشِر من إنجيلِ يُوحَنَّا)، أنَّ اليهُودَ حاولُوا أن يرجُمُوه.

فسألُوهُ، "هل ستَرجِعُ إلى هُناك؟" فكانَ جوابُهُ في العددِ التَّاسِع، "أليسَت ساعاتُ النَّهارِ إثنَتَي عشرَةَ؟ إن كانَ أحَدٌ يمشِي في النَّهارِ لا يَعثُرُ لأنَّهُ ينظُرُ نُورَ هذا العالم." كانَ يعني بِقَولِهِ هذا، "أنا أعلَمُ ما أنا فاعِلُهُ. فأنا أمشِي في النُّور. وأنا لا أعثُرُ في الظُّلمة."

عندَما قالَ للتلاميذ بِوُضُوحٍ أنَّ لِعازار قد مات، وأضافَ أنَّهُ فَرِحَ أنَّهُ لم يَكُنْ مَوجُوداً لِكَي يُؤمِنُوا، هل كانَ يسُوعُ يقصُدُ بِذلكَ أنَّ هؤُلاء الرُّسُل لم يكُونُوا قد آمنُوا بهِ بعد؟ المرَّةُ الأُولى التي نقرَأُ فيها أنَّ تلاميذَهُ آمنُوا بهِ، كانت عندما قامَ بِمُعجِزَتِهِ الأُولى في عُرسِ قانا الجَليل. وكانَ رُسُلُهُ يُرافِقُونَهُ مُسبَقاً، وكانُوا قد شَهِدُوا حتَّى الآن كُلَّ المُعجِزات التي ذَكَرَها يُوحنَّا لنا في الإصحاحاتِ العَشر الأُولى من إنجيلِهِ.

تَذَكَّرُوا أنَّنا نَجِدُ بينَ صَفحاتِ هذا الإنجيل العظيم أجوبَةً على السُّؤال، "ما هُوَ الإيمانُ؟" هُنا نَجِدُ أنَّ السُّؤالَ عنِ الإيمان تَتِمُّ الإجابَةُ عليهِ ثانِيَةً. "وأنا أفرَحُ لأَجلِكُم إنِّي لم أكُنْ هُناكَ لِتُؤمِنُوا." بَينَما تقرَأُونَ الأناجيل، لاحِظُوا الأماكِنَ المُتَعدِّدَة التي يطرَحُ فيها يسُوعُ السُّؤالَ عنِ

الإيمان على تلاميذِهِ (متَّى ٨: ٢٦؛ ١٤: ٣١؛ مَرقُس ٤: ٤٠؛ لُوقا ٨: ٢٥). منَ الواضِحِ أنَّ هدَفَ يسُوع من خلالِ هذه القِصَّة هُوَ إيمانُ مرثا، مريَم، ولِعازر، بالإضافَةِ إلى أُولئِكَ الذين يُحِبُّونَ هذه العائِلة، وتلاميذه.

رُغمَ أنَّ هذا لَيسَ التَّفسير الصَّحيح، ولكنَّ تطبيقاً ثانَويَّاً لكلمات يسُوع هذه يطرَحُ السُّؤال حولَ عدد ساعاتِ العَمَل التي ينبَغي أن نعتَبِرَها مُناسِبَةً أُسبُوعِيَّاً لأتباعِ يسُوع المُكَرَّسِين. غالِباً ما نَنسَى الحقيقَةَ الصَّعبَة أنَّهُ قبلَ أن يأمُرَ اللهُ شعبَهُ بأن يستَريحُوا في اليَومِ السَّابِع، أمرَهُم أوَّلاً أن يُجاهِدُوا ويتعَبُوا لِستَّةِ أيَّامٍ. في هذا المقطع، يَقُولُ يسُوعُ أنَّهُ تُوجَدُ إثنتا عشرةَ ساعَة في النَّهار. فهل هذا يعني أنَّهُ علينا أن نعملَ ٧٢ ساعَة أُسبُوعِيَّاً؟

كَم ساعَة في الأُسبُوع ينبَغي على تِلميذٍ مُكَرَّسٍ ليَسُوع المسيح أن يعمَلَ في كَرمِ الرَّبّ؟ هل بإمكانِكُم أن تَتَصَوَّرُوا الرَّسُول بُولُس يُجيبُ على هذا السُّؤال بإخبارِنا أنَّهُ يتوجَّبُ علينا أن نعمَلَ ثمانِي ساعاتٍ يَومِيَّاً، خمسَةَ أيَّامٍ في الأُسبُوع، أو ما يُعادِلُ أربَعينَ ساعة عمَل؟ هل يُمكِنُ أن يَتِمَّ تقريرُ هذهِ القَضِيَّة من قِبَلِ إتِّحاداتِ العَمَل العالَمِيَّة، أو من قِبَلِ الحضارَةِ العِلمانِيَّة؟

عندما إقتَرَحَ إخوةُ يَسُوعَ عليهِ برنامجَ عمَلٍ لخدمَتِهِ، لم يتأثَّرْ بتاتاً بإقتراحاتِهِم، لأنَّهُ كانَ دائماً يفعَلُ ما يُرضِي الآب (يُوحَنَّا ٨: ٢٩). علينا أن نُقَدِّمَ الملاحظَةَ نفسَها هُنا، عندما إقتَرَحَ الرُّسُل أينَ ومتَى ينبَغي أو لا ينبَغي أن يذهَبَ المسيحُ. ولقد عرفَ ما كانَ يعمَلُ بِرُجُوعِهِ إلى اليَهُودِيَّةِ في هذه اللحظة الدَّقيقَة.

بالإختِصار

كاتِبُ هذا الإنجيل كانَ قد مهَّدَ الجَوَّ في هذه المرحَلَة لهذه القِصَّة الرَّائِعة. قبلَ أن نتأمَّلَ بالطَّريقَة التي بها تجاوَبت مريم ومرثا معَ الحقيقَةِ الصَّعبة بأنَّ رَبَّهُم لم يَكُنْ مَوجُوداً ليُجَنِّبَ أخاهُم من المَوت، بالإضافَةِ إلى المُعجزَةِ العظيمة التي كانت ستَحدُثُ لِلتَّوّ، أَوَدُّ أن أُقَدِّمَ بَعضَ التَّطبيقات على الطَّريقَة التي بها تبدَأُ القِصَّة.

في الإصحاحِ الحادِي عَشَر، من خِلالِ ما رأيناهُ هُنا في بدايَةِ هذه القِصَّة، "من هُوَ يسُوع؟" يسُوعُ هُوَ رَبٌّ مُحِبّ، الذي يسمَحُ عَمداً لأشخاصٍ يُحِبُّهُم أن يختَبِرُوا أصعبَ المشاكِلِ المُستَعصِيَة في الحياة، لكي يذهَبَ المجدُ لأبيهِ السَّماوِيّ، ليتمجَّدَ هُوَ نفسُهُ أيضاً، وليُؤمِنَ الذين يُحِبُّهم.

هل بإمكانِكُم أن تتأمَّلُوا بِبَعضِ الإختِباراتِ التي واجهتُمُوها في السنواتِ القَليلَة المُنصَرِمَة، أو التي تُواجِهُونَها الآن، أو قد تُواجِهُونَها في المُستَقبَل، في إطارِ القرينة التي تبدَأُ بها هذه القِصَّة؟ هل منَ المُمكِن أن يَكُونَ يسُوع رَبّاً مُحِبّاً يُحِبُّكَ بِشَكلٍ كافٍ لدَرَجَةِ أنَّهُ يسمَحُ بأن تختَبِرَ أنتَ أو أُولئكَ الذين يُحِبُّهم بعضَ المشاكِلِ المُستَعصِيَة التي لا حُلُولَ لها؟ وهل يُمكِنُ أن يسمَحَ بأن تأتِيَ هذه المشاكِلُ بالمَجدِ لهُ ولأبيهِ السَّماوِيّ، وأن يجعلَ إيمانَكَ ينمُو فيهِ وفي محبَّتِهِ؟ هذا من هُوَ يسُوعُ في الجزءِ الأوَّل من هذا الإصحاح.

في الأعدادِ الإفتِتاحِيَّةِ من هذا الإصحاح، "ما هُوَ الإيمانُ؟" تَتِمُّ الإجابَةُ على هذا السُّؤال بالطريقَةِ التي بها أرسَلت مريم ومرثا رِسالتَهُما إلى يسُوع، مُؤمِنَتَينِ أنَّهُ إذا عرَفَ أنَّ الذي يُحِبُّهُ مَريضٌ ويُشارِفُ على الموت، فإنَّ رَبَّهُما المُحِبّ سوفَ يَجِدُ حَلاً لمُشكِلَتِهِما المُستَعصِيَة. الإيمانُ بِبَساطَةٍ هُوَ وضعُ مشاكِلِ الحياة أمامَ الرَّبّ، معَ الإقتِناعِ بأنَّ كُلَّ ما تحتاجُ أن تعرِفَهُ هُوَ أنَّ الرَّبَّ يعرِفُ عن مشاكِلِكَ. الإيمانُ هُوَ الإقتناعُ بأنَّ الرَّبَّ مُحِبٌّ وكُلِّيّ القُدرَة ومُلتَزِمٌ بأن يَقُومَ بِكُلِّ ما يُمكِنُ أن يُنَمِّيَ إيمانَكَ.

وأخيراً، وبناءً على الطريقة التي بها يبدَأُ الإصحاحُ، "ما هي الحياةُ؟" الحياةُ هي أيَّةُ مُشكِلَة تُساهِمُ بِنُمُوِّنا رُوحيّاً. الحياةُ هي أيُّ شَيءٍ يَجذُبُنا إلى علاقَةٍ أقرَب معَ اللهِ ومعَ رَبِّنا يسُوع المسيح الحَيّ المُقام منَ الأموات. وبما أنَّنا مَدعُوُّونَ لنَسِيرَ ونَعِيشَ بالإيمان، فالحياةُ هي أيُّ شَيءٍ يُمكِنُ أن يزيدَ إيمانَنا بالرَّبّ. الحياةُ هي أيُّ شَيءٍ يجعَلُ منَّا أكثَرَ كَمَالاً فيهِ. فكُلُّ ما يسمَحُ بهِ لتحقيقِ هذه الغايَة يُساهِمُ بإختِبارِنا للحياةِ الأبديَّة.

الفَصلُ الثَّانِي
التَّجاوُب والعَلاقَة
(يُوحَنَّا ١١: ١٧- ٣٢)

كُلَّما تابَعنا القِراءَةَ في هذا الإصحاح، نُلاحِظُ أَنَّهُ عندما وصَلَ يسُوعُ أخيراً إلى بَيتِ عَنيا، كانت القَضِيَّةُ الأساسيَّةُ هي تجاوُب مريم ومرثا معَ مُشكِلَةِ مَرض وموتِ أخيهما. والتَّجاوُبُ الذي أرادَهُ يسُوعُ منهُما يتعلَّقُ بالطَّريقَةِ التي يتعامَلانِ بها معَهُ في الأزمات، خاصَّةً الحقيقَةَ التي صَعُبَ عليهما قَبُولُها أَنَّهُ لم يَصِلْ في الوقتِ المُناسِب ليُخَلِّصَ أخيهما. علاقَتُنا معَ الرَّبّ تُشَكِّلُ دائماً العُنصُرَ الأكثَرَ حَساسِيَّةً حيالَ تجاوُبِنا معَ مشاكِلِنا.

أنا مقتَنِعٌ أنَّ الرَّبَّ حصَلَ على التَّجاوُبِ العقلانِيِّ الصَّحيح من مَريم. فتَجاوُبُ مريَم يُذَكِّرُنا بأنَّ رَدَّةَ فعلنا الأُولى ينبَغي أن تثَبِّتَ علاقَتَنا معَ المسيح وإيمانَنا الرَّاسِخ بمحبَّتِهِ لنا. أمَّا مرثا فكانت ردَّةُ فعلِها كما تَكُونُ رَدَّةُ فعلِ مُعظَمِنا عندما تُفاجِئُنا المآسِي.

نقرَأُ إبتِداءً منَ العددِ السَّابِع عشر: "فَلَمَّا أَتَى يسُوعُ [إلى بَيتِ عَنيا] وَجَدَ أَنَّهُ قد صارَ لهُ أربَعَةُ أيَّامٍ في القَبر. وكَانَت بَيتُ عَنيا قريبَةً من أُورشَليم نحوَ خَمسَ عشرَةَ غُلوَةً. وكانَ كَثيرُونَ منَ اليَهُودِ قد جاؤُوا إلى مَرثا ومَريَم ليُعَزُّوهُما عن أخيهما.

"فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرثا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لاقَتْهُ. وأمَّا مَريَمُ فإستَمَرَّتْ جالِسَةً في البَيت. فقالَت مَرثا لِيَسُوع يا سَيِّدُ لو كُنتَ هَهُنا لم يَمُتْ أخِي. لَكِنِّي الآنَ أيضاً أعلَمُ أَنَّ كُلَّ ما تَطلُبُ منَ اللهِ يُعطِيكَ اللهُ إيَّاهُ.

"قالَ لها يسُوع سيَقُومُ أخُوكِ. قالَتْ لهُ مَرثا أنا أعلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ في القِيامَةِ في اليَومِ الأخير. قالَ لها يسُوعُ أنا هُوَ القِيامَةُ والحَياةُ. مَنْ آمنَ بي ولو ماتَ فسَيَحيا. وكُلُّ من كانَ حَيَّاً وآمنَ بي فَلَنْ يَمُوتَ إلى الأبد. أتُؤمِنِينَ بهذا؟

"قالَت لهُ نعَم يا سَيِّد. أنا قد آمنتُ أنَّكَ أنتَ المسيح إبنُ اللهِ الآتي إلى العالم. ولمَّا قالَت هذا مضَتْ ودَعَتْ مَريَمَ أختَها سِرَّاً قائِلَةً المُعَلِّمُ قد حَضَرَ وهُوَ يدعُوكِ. أمَّا تِلكَ فلَمَّا سَمِعتْ قامَت سَريعاً وجاءَتْ إليهِ.

"ولم يَكُنْ يسُوعُ قد جاءَ إلى القَريَةِ بل كانَ في المكانِ الذي لاقَتْهُ فيهِ مرثا. ثُمَّ إنَّ اليَهُودَ الذينَ كانُوا معَها في البَيتِ يُعَزُّونَها، لما رأَوا مريَم قامَتْ عاجِلاً وخَرَجَت، تَبِعُوها قائِلينَ إنَّها تَذهَبُ إلى القَبرِ لتَبكِيَ هُناكَ. فمَريَمُ لَمَّا أَتَت إلى حَيثُ كانَ يسُوعُ ورَأَتْهُ خَرَّتْ عندَ رِجلَيهِ قائِلَةً لهُ يا سَيِّدُ لَو كُنتَ هَهُنا لم يَمُتْ أخِي." (يُوحَنَّا ١١: ٢٠: ٣٢)

عندما جاءَ يسُوعُ إلى بَيتِ عَنيا، إلتَقى أوَّلاً بِمَرثا، لأنَّها هي بادَرَت بِلِقائِهِ. وكانت القَضِيَّةُ المُهِمَّةُ في هذا اللِّقاء تَجاوُبَ مَرثا معَ مُشكَلَةِ المرض والمَوت المُستَعصِيَة. فماذا كانت ردَّةُ فعلِها على هذه المُشكِلَة؟ مرثا لا تزالُ مرثا. ونحنُ نُحبُّها، ويسُوعُ أحبَّها. ولكنَّها سُرعانَ ما سَمِعَت بأنَّ يسُوعَ وصلَ إلى قَريَتِها، رَكَضَت لتَلتَقِيَ بهِ على الطَّريق. أمَّا مَريَمُ فبَقِيَت في المَنزِل. عندما إلتَقَتْ مرثا وجهاً لِوَجهٍ معَ يسُوع، قالتْ لهُ الكلماتِ التَّالِيَة: "لَو كُنتَ هَهُنا، لم يَمُتْ أخِي." منَ المُثيرِ للإهتِمامِ أنَّ مَريَمَ ستقُولُ لاحِقاً الكلماتِ ذاتِها.

لا نعلَمُ كيفَ كانت تَقاسِيمُ وَجهِها، ولا نعلَمُ شَيئاً عن نبرَةِ صَوتِ مَرثا عندما نطَقَت بهذه الكلمات. بكلامٍ آخر، الرَّسُولُ يُوحَنَّا لا يَصِفُ ما نُسمِّيهِ اليَوم "الحَرَكاتِ الإيمائِيَّة." يُخبِرُنا الخُبراءُ في الإتِّصالاتِ بأنَّنا عندما نتواصَلُ، تُشَكِّلُ الكلماتُ التي نَقُولُها سبعة بالمائَة فقط من تواصُلنا معَ الآخرين. وأربَعَةٌ وأربَعُونَ بالمائة تأتي من نبرَةِ الصَّوت عندما ننطِقُ بكلماتِنا، وتسعةٌ وأربَعُونَ بالمائة تعُودُ إلى حركاتِ جَسدِنا الإيمائِيَّة، أي تعابيرُ وجهِنا، حركاتِ أطرافِنا، وطُرُق أُخرى نُعَبِّرُ بها عن معنَى الكلماتِ التي نستَخدِمُها.

بَينَما نقرَأُ وقائِعَ لِقاءاتِ يسُوع معَ هاتَينِ الشَّقيقَتَين، كُلُّ ما نَجِدُهُ هُوَ الكلماتُ التي قِيلَت. حتَّى ولو أنَّنا لا نعرِفُ شَيئاً عن تقاسيمِ وجهِ مرثا ولا عن تعابيرِها وحَرَكاتِها الإيمائِيَّة، ولكن لَدَيَّ الإنطِباعُ أنَّهُ عندما قالَت مرثا، "لو كُنتَ هَهُنا، لم يَمُتْ أخِي،" كانت تقصُدُ القَول، "أينَ كُنتَ يا رَبّ؟ فَلَو كُنتَ هَهُنا، لما ماتَ أخي لِعازار."

الرَّبُّ يُحِبُّ مَرثا، ولذلكَ تابَعَ الحِوارَ معَها قائِلاً، "سيَقُومُ أَخُوكِ." لم يَكُنْ يُشيرُ يسُوعُ بالطَّبعِ إلى قِيامَةِ المُؤمِنين التي تُؤَهِّلُهُم للحالَةِ الأبديَّة. بل كانَ بالطَّبعِ يتكلَّمُ عمَّا كانَ على وشكِ الحُدُوث. ولا ينبَغي أن نَقسُوَ كَثيراً على مرثا. فهي بالطَّبعِ لم تَعرِفْ أنَّهُ كانَ يتكلَّمُ عمَّا كانَ على وشكِ الحُدُوث. فلو كُنتَ مكانَها، هل كُنتَ ستَتَوقَّعُ حُدُوثَ هكذا مُعجِزَة؟ أجابَت مرثا بما معناهُ، "أنا أعلَمُ أنَّهُ سيَقُومُ في القيامَةِ في اليَومِ الأخير. فأنا أعرِفُ ما تُعَلِّمُهُ كَلِمَةُ الله."

عندَها نطَقَ يسُوعُ بما يُعتَبَرُ أكثَر كلمات إنجيل يُوحَنَّا ديناميكيَّةً. وهي تنضَوي تحتَ تصريحات يسُوع المَعرُوفَة بِ "أنا هُوَ": "أنا هُوَ القِيامَةُ والحَياة. من آمنَ بي ولو ماتَ فَسَيَحيا. وكُلُّ من كانَ حيَّاً وآمنَ بي فلن يَمُوتَ إلى الأبَد. أتُؤمِنينَ بهذا؟"

تُعجِبُني صراحَةُ مرثا. فهِيَ لم تُجِبْ بالقَول، "أنا أُؤمِنُ بذلكَ." لَرُبَّما لم تفهَمْ مرثا تماماً ما كانَ يقُولُهُ لها يسُوع. فأجابَت بالتَّصريحِ بما تُؤمِنُ بهِ، وما تُؤمِنُ بهِ يرتَبِطُ بالمَوضُوعِ الأساسيّ لإنجيلِ يُوحَنَّا. أجابَت مرثا بما معناهُ، "أنا أُؤمِنُ أنَّكَ المَسيحُ (أو المَسِيَّا)، إبنُ اللهِ الذي جاءَ إلى العالم. هذا ما أُؤمِنُ بهِ."

لقد عرفَت مرثا ما كانت تُؤمِنُ بهِ، وآمنَتْ بما كانت تَعرِفُهُ. إحدَى أكثَر صَلَواتِ الكتابِ المُقدَّس التي تمَّت تَلاوَتُها بِدُمُوعٍ كانت: "آمنتُ، فأَعِنْ عَدَم إيمانِي!" (مَرقُس ٩: ٢٤). ولقد تجاوَبَ يسُوعُ مع تلكَ الصَّلاة لأنَّها كانت صلاةً صادِقَة. جَميعُنا لدَينا مُستَوىً مُعَيَّناً ينتَهي فيهِ إيمانُنا ويبدَأُ عدَمُ إيمانِنا. فالأبُ الذي صَلَّى تلكَ الصَّلاة كانَ يَقُولُ ليسُوع، "إرفَعْ مُستَوى إيمانِي وأَخفِضْ مُستَوى عدَم إيمانِي." قد تَكُونُ هذه هي الرُّوحُ التي أجابَت بها مرثا على سُؤالِ يسُوع لها: "أتُؤمِنينَ بهذا؟"

أنا مُتَيَقِّنٌ أنَّ يسُوعَ أحبَّ مَرثا بإخلاص. وتَصِفُ مرثا مُستَوى إيمانِها قائِلَةً ليسُوعَ بِطريقَةٍ أو بِأُخرى، "فوقَ هذا المُستَوى لن أقُولَ أنَّني أُؤمِنُ بما تَقُولُهُ لي." لم يَكُنْ هُناكَ أيُّ شَيءٍ زائِفٍ في مرثا، بل كانت مرثا صادِقَةً تماماً.

إذا تأمَّلنا بحالِنا عندما نتكلَّمُ معَ الله، نَجِدُ أنَّهُ يَعرِفُ تماماً أينَ ينتَهِي مُستَوى إيماننا وأينَ يبدَأُ شَكُّنا. ومنَ الغَباءِ لنا أن نتعامَلَ معَ رَبِّنا الحَيّ المُقام في وسطِ مِحنَةٍ مأساوِيَّةٍ بمصداقِيَّةٍ وشفافِيَّةٍ أقل ممَّا تعامَلَت بهِ مرثا. فيسُوعُ كانَ قَلِقاً تماماً من أُولئِكَ الذين وصفَهُم بالمُرائِين، أو من أُولئكَ الذين قصدَ بأنَّهُم يضَعُونَ أقنِعَةً إصطِناعِيَّةً على وُجُوهِهم، كتلكَ التي كانَ يستَعمِلُها المُمَثِّلُونَ المَسرَحِيُّونَ في حضارَةِ القَرنِ الأوَّل. الرَّبُّ يعلَمُ أنَّهُ بِغَضِّ النَّظَرِ عنِ الحالَةِ التي كانت فيها مرثا، ولكنَّها لم تَكُنْ مُرائِيَةً على الإطلاق.

تُشَكِّلُ عبارَة "أنا هُوَ" التي نسمَعُ يسُوعَ يستَخدِمُها في لِقائِهِ معَ مَرثا، قَلبَ الإصحاحِ الحادِي عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا. فأكثَرُ المُشكِلاتِ المُستعصِيَة في الحَياة لها حَلٌّ، وهذا الحَلُّ يُسمَّى بالقِيامَة. فالتَّعريفُ الحَرفِيُّ لِلقِيامَةِ هو، "الإنتِصارُ على المَوت." يقُولُ يسُوع، "أنا هُوَ الحَلُّ لهذه المشاكِل المُستعصِيَة يا مَرثا." فأنا لستُ فقط الغلَبَة على المَوت، بل أنا أيضاً الحَلُّ لمُشكِلَةِ الحياة." ويُكَرِّرُ يسُوعُ هذا التَّصريح لاحِقاً عندما يَقُولُ ما معناهُ: "أنا هُوَ الحياةُ التي جَئتُ إلى هذا العالم لآتِيَ بها." (يُوحَنَّا ١٤: ٦)

نقرَأُ في الأعدادِ الأُولى منَ هذا الإنجيل: "فيهِ كانَتِ الحياةُ، والحَياةُ كانت نُور النَّاس." وفي كُلِّ إصحاحٍ نطرَحُ السُّؤال، "ما هِيَ الحياة؟" ونحنُ نطرَحُ السُّؤال، لأنَّ يُوحَنَّا يَقُولُ لنا ما هي الحياةُ. مُجدَّداً يُخبِرُنا يُوحَنَّا، إصحاحاً بعدَ الآخر، بأنَّ الحياةَ هي ما هُوَ يسُوع. والحياةُ هي أيضاً شَيءٌ يعمَلُهُ يسُوعُ غالِباً فينا، لأجلِنا، ومن خلالِنا. الحياةُ مُرتَبِطَةٌ دائماً بيسُوع، عندما يُخبِرُنا كاتِبُ هذا الإنجيل بما هي الحياةُ الأبديَّة.

يَقُولُ يسُوعُ في لِقائِهِ معَ مرثا: "من آمنَ بي، وإن ماتَ فَسَيَحيا." إنَّهُ يتكلَّمُ عن قِيامَةِ التِّلميذِ الحَقيقيّ. ويُقدِّمُ الرَّسُولُ بُولُس المَزيدَ منَ التَّعليم حولَ هذا المَوضُوع. فعندما يمُوتُ المُؤمنُون، لا يُدفَنُون، بل يُزرَعُونَ كحَبَّةٍ حِنطَةٍ سوفَ تُفرِخُ وتقُومُ يوماً ما. (١كُورنثُوس ١٥؛ ٢ كُورنثُوس ٥).

ويذهَبُ يسُوعُ إلى ما هُوَ أبعَد من هذا التَّعليم الدِّينامِيكيّ في هذا التصريحِ العظيم عن حياةِ القِيَامَة. لاحِظُوا التَّالي عندما يُكَرِّرُ يسُوعُ وعدَهُ: "وكُلُّ من كانَ حَيَّاً وآمنَ بي لن يَمُوتَ إلى الأبد." يسُوعُ يَقطَعُ بالحقيقَةِ عهدَ قيامَةٍ بينَهُ وبينَ المُؤمِن. وفي كُلِّ عهدٍ، يَعِدُ يسُوعُ بأن يحفَظَ دَورَهُ في العهد، وعلينا نحنُ أن نحفَظ دَورَنا في العهد. والشَّخصُ الذي يدخُلُ إلى عهدِ القِيامَةِ هذا معَ يسُوع، عليهِ أن يُلَبِّيَ شَرطَين. الشَّرطُ الأوَّلُ: ينبَغي أن يُؤمِنَ بالمسيح. هذا هُوَ الشَّرطُ الواضِحُ. ولكن عليهِ أيضاً أن يحفظَ الشَّرطَ التَّالِي: عليهِ أن يحيا في المسيح.

هل تعلَمُ أنَّهُ منَ المُمكِنِ أن نحيا حياتَنا في المسيح؟ حوالي مائتي مرَّة يذكُرُ كُتَّابُ العهدِ الجديد عبارَة "في المسيح" عندما يُشيرُونَ إلى تلاميذ يسُوع المسيح الحقيقيِّين.

لقد بَرهَنَ يسُوعُ معنَى هذه الكَلمات بشَكلٍ جَميلٍ، بواسطَةِ إستَعارَةٍ إستَخدَمها في الحَقل. كانَ يُعَلِّمُ هؤُلاء التَّلاميذ كيفَ يَكُونُونَ مُثمِرينَ عندما أظهَرَ للرُّسُل كَرمَةً ذاتَ أغصانٍ مُثقَلَةٍ بالثِّمار. ثُمَّ وضعَ أمامَ تلاميذِهِ التَّحدِّي بأن يثبُتُوا فيهِ، تماماً كما تثبُتُ هذه الأغصانُ في الكَرمَة التي كانت تجعَلُ هذه الأغصان مُثمِرَةً (يُوحَنَّا ١٥: ١- ١٦).

تَرِدُ هاتانِ الكَلِمتان "في المسيح" حوالي مائتي مرَّةً في العهدِ الجديد. وهذه واحدَةٌ منَ الطُّرُقِ المُفَضَّلةِ عندَ بُولُس الرسُول ليُعَبِّرَ عن العلاقة بينَ المُؤمن وبينَ المسيح الحَي المُقام. فهُوَ يستخدِمُ هذه العبارَة ٩٧ مرَّةً في كتاباتِهِ. هاتانِ الكَلِمَتان، بالإضافَةِ إلى إستَعارَةِ يسُوع التي تُفَسِّرُ معناها، تُساعِدُنا على فهمِ القسمِ الثَّاني منَ العهد الذي قطَعَهُ يسُوعُ معَ مرثا. "كُلُّ من كانَ حَيَّاً وآمنَ بي، لن يَمُوتَ إلى الأبد."

لا يبدُو أنَّ مَرثا تفهَمُ ما كانَ يسألُها إيَّاهُ يسُوع، عندما طرحَ عليها السُّؤال: "أتُؤمِنينَ بهذا؟" ولكن هل كُنتَ أنتَ ستفهَمُ هذا السُّؤال؟ لو كانَ يُوجَدُ مُتَّسَعٌ منَ الوقتِ لِتَلقِينِ مرثا دَرساً منَ الكتابِ المُقدَّس، لرُبَّما لَفَهِمَتِ المقصد. أنا مُقتَنِعٌ أنَّها لو أخَذَت وقتَها وبَذَلَتِ الجُهدَ لتفهَمَ ما كانَ يسُوعُ يَقُولُهُ لها، لكانت آمنَتْ بِرَبِّها.

هذا جوابٌ آخر على السُّؤال، "ما هُوَ الإيمان؟" كما تعلَّمنا في الإصحاحِ السَّادِس، من خلالِ مَثَلِ بُطرُس، تُوجدُ أوقاتٌ عندما يتبَعُ الإيمانُ يسُوع، حتَّى ولو لم نفهَمْ ذلكَ تماماً (يُوحَنَّا ٦: ٦٧، ٦٨). إنَّ مِثالَ مَرثا السَّلبِيّ، الذي يُعَلِّمُنا ما ليسَ هُوَ الإيمانُ، يُعَلِّمنا أنَّ الإيمانَ ينبَغي أن يأخُذَ أحياناً الوقتَ الكافِي وأن يبذُلَ مجهُوداً كافياً ليفهَمَ ما يَقُولُهُ الرَّبُّ لنا عندما تجتاحُ مصائِب غير إعتِيادِيَّة حياتَنا. فالقضِيَّةُ الأكثَرُ أهمِّيَّةً بالنِّسبَةِ لكَ ولي هي التَّحدِّي التَّالِي: هل نُؤمِن، وهل نحيا حياتَنا في المسيح؟

بعدَ أن نُلاحِظَ جوابَ مرثا الصَّريح، نقرَأُ بعدَها أنَّ مَرثا: "...مَضَتْ ودَعَت مَريَمَ أُختَها سِرّاً قائِلةً المُعَلِّمُ قد حَضَرَ وهُوَ يَدعُوكِ. أمَّا تِلكَ فلَمَّا سَمِعَتْ قامَتْ سَريعاً وجَاءَت إليهِ." (يُوحَنَّا ١١: ٢٨- ٢٩).

بينَما تقرَأُون هذه القِصَّة عن كيفيَّةِ تجاوُبِ هاتَينِ الشَّقيقَتَينِ معَ مرَضِ ومَوتِ أخيهما، لاحِظُوا التَّالِي: مَريم لم تَذهَبْ لتَرى يسُوعَ، إلا عندما أرسَلَ يدعُوها. أمَّا مرثا التي تجعَلُ الأُمُورَ تحدُث، فقرَّرَت الوقتَ

الذي ستلتَقي فيهِ بيسُوع. فإلتَقَتْ بهِ على الطَّريقِ، قبلَ أن يَصِلَ إلى بَيتِ عَنيا. هذه هي مرثا. أمَّا مريَم فلَم تَكُنْ مثلَها. بل إنتَظَرَت مريم إلى أن أرسَلَ الرَّبُّ بِطَلَبِها. ولكن سُرعانَ ما سَمِعَتْ كَلِمَةً منَ الرَّبّ بأنَّ مُعَلِّمَها يُريدُ أن يلتَقِيَ بها، حتَّى تجاوَبَت بأقصَى سُرَعَةٍ.

نقرَأُ بعدَ ذلكَ: "فَمَريَمُ لمَّا أتَتْ إلى حَيثُ كانَ يسُوعُ ورَأَتْهُ، خَرَّت عندَ رِجلَيهِ قائِلَةً لهُ يا سَيِّدْ لو كُنتَ هَهُنا، لم يَمُتْ أخِي." هذه هي الكلماتُ نفسُها التي خاطَبَت بها مرثا يسُوع. لا نستطيعُ أن نرى كيفَ كانت تقاسيمُ الوجهِ أو نبرَةُ الكلماتِ التي قالَتها مريم. ولكنَّنا نقرَأُ شيئاً عن تعابير جسدِها. فلقد خَرَّت عندما قَدَمَيهِ وقالَت، "يا سَيِّد، لو كُنتَ هَهُنا لم يَمُتْ أخِي." (يُوحَنَّا ١١: ٣٢)

في العهدِ الجديد، تُوجدُ سَبعُ نساءٍ تُدعَى كُلٌّ منهُنَّ مريم. ولدَينا لمحاتٌ أُخرى على حياةِ مريم هذه بالتَّحديد. فَمَثَلاً، كما سبقتُ وأشَرتُ، عندما زارَ يسُوعُ أوَّلاً هاتَينِ الأُختَين، جَلَسَت مريمُ عندَ قدَمَيهِ تُصغِي لكَلماتِهِ (لُوقا ١٠: ٣٨- ٤٢). في الإصحاح الثَّانِي عَشَر، سوفَ نَجِدُها عندَ قَدَمَي يسُوع تعبُدُهُ. في هذا الإصحاح، نَجِدُها عندَ قَدَمَيهِ تقَبلُ إرادَتَهُ. نَجِدُها تَقُولُ: "لو كُنتَ هَهُنا لم يَمُتْ أخِي. ولكنَّني أُريدُكَ أن تعرِفَ أنَّني سأعبُدُكَ على أيَّةِ حال. فسواءٌ أفَهِمتُ أنا ذلكَ أم لا، لديَّ الإيمانُ لأقبَلَ الحقيقَةَ الصَّعبَةَ بأنَّهُ لدَيكَ أسبابكَ لعدَم كَونِكَ مَوجُوداً لتُنقِذَ حياةَ أخي في الوقتِ المُناسِب."

الإنقاذ

هل تُلاحِظُونَ ما يحدُثُ هُنا؟ هاتانِ الشَّقيقَتانِ تُواجِهانِ أكثَرَ مُشكِلَتَينِ مُستَعصِيَتين في الحياة. وما يُريدُهُ الرَّبُّ منهُما هُوَ حقُّ التَّجاوُب معَ هاتَينِ المُشكِلَتَين. التَّجاوُبُ الصَّحيحُ معَ هذه المَشاكِل يبدَأُ في علاقَتِهِم معَ الرَّب. ولقد حصلَ يسُوعُ على هذا التَّجاوُبِ من مَريم. نتعلَّمُ أنَّهُ سُرعانَ ما أصبَحَت هذه العلاقَةُ في مكانِها الصَّحيح، حتَّى أنقَذَ الرَّبُّ هاتَينِ الأُختَين وشَقيقَهُما من مشاكِلِ المَرَضِ والمَوت.

عندَما نختَبِرُ هاتَينِ المُشكِلَتَين، لا يحدُثُ الإنقاذُ في هذه الحياة. فبِما أنَّ المَوتَ هُوَ جزءٌ منَ الحياة بمقدارِ ما ما هي الولادَةُ أيضاً، علينا أن

ننتَظِرَ هذا الإنقاذ إلى وقتِ قيامَةِ كُلِّ المُؤمنين عندَ رُجُوعِ يسُوع (١تسالُونِيكي ٤: ١٣- ١٨).

بالإضافَةِ إلى المَرَضِ و المَوت، هُناكَ أوقاتٌ في حياتِكَ وحياتِي، يسمَحُ لنا الرَّبُّ فيها بأن نختَبِرَ مشاكِلَ مُستَعصِيَة لا حُلُولَ لها. فهُوَ يعرِفُ أنَّنا إذا إتَّبَعنا مِثالَ مَريَم الجَميل، في تجاوُبِنا معَ هذه المشاكِل، سوفَ يُعطَى المَجدُ لله، وسوفَ يتمجَّدُ رَبُّنا ومُخَلِّصُنا يسُوع المسيح. وسوفَ تُساهِمُ العمليَّةُ بكامِلِها في زيادَةِ قُدرَتِنا على الإيمان والمَعرِفَةِ والمحبَّةِ وخدمَةِ اللهِ ورَبِّنا ومُخَلِّصِنا يسُوع المسيح.

وهُوَ يعرِفُ أيضاً أنَّ الإيمانَ الصَّادِقَ الشَّفَّافَ، الذي تُمَثِّلُهُ مرثا، سيقُودُنا إلى إختبارِ مجدِ الله. فلقد وعدَ مرثا أنَّها إن آمنَتْ، سترى مجدَ الله. وكما سنَرَى الآن، مريم ومرثا كِلاهُما ستُؤمِنانِ وستريانِ مجدَ الله.

عندَما حصلَ الرَّبُّ على هَذَينِ التَّجاوُبَين من مرثا ومريَم، نقرَأُ: "فَلَمَّا رآهَا يسُوع تَبكِي واليَهُودُ الذين جاؤُوا معَها يبكُون، إنزَعَجَ بالرُّوحِ واضطَّرَبَ. وقالَ أينَ وَضَعتُمُوهُ. قالُوا لهُ يا سَيِّد تعالَ وانظُرْ. بَكَى يسُوع. فقالَ اليَهُودُ أنظُرُوا كيفَ كانَ يُحِبُّهُ. وقالَ بعضٌ منهُم ألَم يقدِرْ هذا الذي فتحَ عَينَي الأعمى أن يجعَلَ هذا أيضاً لا يمُوت.

"فإنزَعَجَ يسُوعُ أيضاً في نَفسِهِ وجاءَ إلى القَبر. وكانَ مَغارَةً وقد وُضِعَ عليهِ حَجَرٌ. قالَ يسُوعُ إرفَعُوا الحَجَرَ. قالَتْ لهُ مَرثا أُختُ المَيتِ يا سَيِّد قد أنتَنَ لأنَّ لهُ أربَعَةَ أيَّام. قالَ لها يسُوعُ ألَمْ أقُلْ لكِ إن آمنتِ ترَينَ مجدَ الله. فرَفَعُوا الحَجَرَ حَيثُ كانَ المَيتُ مَوضُوعاً.

"ورفَعَ يسُوعَ عينَيهِ إلى فَوقُ وقالَ أيُّها الآبُ أَشكُرُكَ لأنَّكَ سَمِعتَ لي. وأنا عَلِمتُ أنَّكَ في كُلِّ حِينٍ تَسمَعُ لي. ولكن لأجلِ هذا الجَمعِ الواقِفِ قُلتُ. ليُؤمِنُوا أنَّكَ أرسَلتَني. ولمَّا قالَ هذا صَرخَ بِصَوتٍ عَظيمٍ لِعازار هَلُمَّ خارِجاً. فخَرَجَ المَيتُ ويداهُ ورِجلاهُ مربُوطاتٌ بأقمِطَةٍ ووَجهُهُ ملفُوفٌ بِمنديل. فقالَ لهُم يسُوعُ حُلُّوهُ ودَعُوهُ يذهَب." (يُوحَنَّا ١١: ٣٣- ٤٤)

عندما كُنتُ قَسِّيساً يافِعاً، كُنتُ في صَبيحَةِ يَومِ أحدٍ مُتَوَتِّراً جدَّاً، عندما أنهَيتُ عِظَتي وختمتُ إجتماعَ الكنيسة، لأنَّني كُنتُ على وشكِ البدءِ بإجراءِ مراسيم أوَّل جنازَة أقُودُها. وكانَ يُوجَدُ رَجُلٌ مُتَقَدِّمٌ في السِّنّ في كنيستي، الذي كانَ قَسِّيساً بِدَورِهِ وكانَ قد قادَ عدَّةَ خدماتِ جنازَة. وكانَ منَ

اليَهُودِ المَسياوِيِّين الذين آمنُوا بالمسيح أنَّهُ المَسيَّا، وكانَ بِدَورِهِ مُؤمناً كاريزاتيَّاً منَ الذين نَجَوا من تشكسلُوفاكيا هرباً من هتلر ومذابِحِه. وكانَ هذا القَسِّيس شَخصاً مُتعلِّماً جدَّاً ومُمَيَّزاً لِلغايَة. وكُنتُ قد تمتَّعتُ بساعاتٍ طوالٍ منَ الشَّرِكَةِ المسيحيَّةِ الرَّائِعَة معَهُ، ولقد ساعَدني كراعٍ شابٍّ على تجاوُزِ تحدِّياتِ السنواتِ الأُولى في خِدمَتي التي كانت صعبَةً جدَّاً.

بعدَ إنتِهاءِ الخدمَةِ الصَّباحِيَّة، وبَينما كُنتُ أُصافِحُ النَّاسَ على بابِ الكنسية، قُلتُ لهذا القَسِّيس، "دكتُور بِيرل، هل بإمكانِكَ أن تُخبِرَني أيَّ شَيءٍ يُمكِنُ أن يُساعِدَني على إجراءِ خدمَةِ دَفنٍ؟ فلَدَيَّ جنازَةٌ لأقُومَ بها بعدَ ظُهرِ اليوم." أجابَ، "يسُوع لم يَقُمْ بإجراءِ أيَّةِ خدمَةِ دَفنٍ. بل قامَ فقط بخدماتِ قِيامَة!" رُغمَ أنَّ نصيحَتَهُ لم تُساعِدنِي كَثيراً بعدَ ظُهرِ ذلكَ اليوم، ولكن يا لِهذه الحقيقة الرَّائِعة التي شارَكني بها. فيسُوعُ لم يُجرِ بالفِعل إلا خدماتِ قِيامَة، وهذا هُوَ رجاؤُنا.

هذا الإصحاح يَصِفُ لنا يسُوع ذاهِباً إلى جنازَة. ولكن قَبلَ أن يُحَوِّلَ تِلكَ الجنازَة إلى قِيامَة، أظهَرَ لنا بعضَ الأُمُور عن كيفيَّةِ حُضُورِ الجنازات. مثلاً، يُخبِرُنا أقصَرُ عددٍ في الكتابِ المُقدَّس قائِلاً: "بكَى يسُوع." وتعني هذه العبارَة أنَّ جَسَدَهُ إرتَعشَ مُجهِشاً بالبُكاء. ولقد أظهَرَ علاماتٍ منظُورَةً عنِ الحُزن، لِدَرَجَةِ أنَّ النَّاسَ الذي حَضَرُوا الجنازَةِ قالُوا: "أنظُرُوا كيفَ كانَ يُحِبُّ لِعازار." لقد أظهَرَ لنا يسُوعُ أنَّنا عندما نحَضُرُ جنازَةَ أو دَفنَ أحدٍ ما مِنَ الذين نُحِبُّهُم كَثيراً، فإذا بَكَينا لا نَكُونُ بذلكَ نُعَبِّرُ عن ضَعفِ إيمانِنا، بل نُعَبِّرُ بِذلكَ عن محبَّتنا الصَّادِقَة وشَوقِنا للفَقيدِ.

عندَما فقدَ داوُدَ طِفلَهُ، قالَ مُنتَحِباً في حُزنِهِ: "أنا سأذهَبُ إليهِ، أمَّا هُوَ فلن يرجِعَ إليَّ." (٢صَمُوئيل ١٢: ٢٣) قناعَتُنا بأنَّنا سنذهَبُ لنَلتَقِيَ بالأمواتِ هي سَبَبُ الحُزن، ولكن ليسَ كما يحزَنُ الذين لا رجاءَ لهُم، بل بسببِ الحقيقَةِ الرَّهيبَة بأنَّهُم لن يرجِعُوا إلينا في هذه الحياة، الأمرُ الذي يُبَرِّرُ تماماً حُزنَنا البالِغ (١تسالُونيكي ٤: ١٣؛ متَّى ٥: ٤). عندما علَّمَ يسُوعُ قائِلاً، "طُوبَى لِلحَزانَى،" أعتَقِدُ أنَّهُ قصدَ أن يتِمَّ تطبيقُ هذا القَول بعدَّةِ طُرُق. قصدَ أوَّلاً أن يُطَبَّقَ هذا القَولُ حرفِيَّاً. فلا ينبَغي أبداً أن نكبُتَ

حُزنَنا أو أن نُحاوِلَ أن نُخَبِّئَهُ. فالحُزنُ مُطَوَّبٌ. ولقد أظهَرَ لنا يسُوعُ أنَّنا عندما نحتاجُ أن نحزَنَ، علينا أن نتمتَّعَ بإختِبارٍ مِشرُوعٍ ومُبَارَكٍ للحُزن.

التَّطبيقُ الشَّخصِيّ والتأمُّلِيّ

جَوهَرُ هذا الإصحاح هُوَ مُعجِزَةُ قيامَةِ لِعازار. فيَسُوعُ لم يُقدِّمْ فقط تصريحاً بالقَول "أنا هُوَ"، بل وأيضاً بَرهَنَ وصادَقَ على تصريحِهِ بِهُوِيَّتِهِ الحقيقيَّة. فلقد أقامَ لِعازارَ منَ المَوت، ليُظهِرَ لنا أنَّهُ هُوَ نفسُهُ الغلَبَةُ على المَوت، وهُوَ الحياةُ التي نحنُ جميعاً نطلُبُها. لقد حقَّقَ هذه المُعجِزَة العظيمة ليُبَرهِنَ ويُصادِقَ على تصريحِهِ العَظيم بأنَّ كانَ ولا يزالُ القيامَةَ والحياة.

التَّطبيقُ الشَّخصِيّ لي ولكَ هُوَ أنَّنا إذا عِشنا حياتَنا في علاقَةٍ معَ الرَّبّ، مُؤمِنينَ بهِ، فلن نَمُوتَ فِعليَّاً. بل سيَكُونُ مَوتُنا بِبَساطَةٍ مُجَرَّدَ حَفلِ تَخَرُّجٍ، وستَكُونُ جنازَتُنا إحتفالَ تَدشينٍ لإعلانِ إبتداءِ حياتِنا الأبديَّة الخالِدَة. سيَكُونُ مَوتُنا بِبَساطَةٍ مجيءَ الرَّاعِي إلى حَياتِنا لِلمَرَّةِ الأخيرة، ليُربِضَنا بالمَوتِ، لكي يستَطيعَ أن يُورِدَنا إلى المراعِي الخَضراء وإلى المياهِ الصَّافِيَة، فتمتَلِئُ كأسُنا وتفيضُ إلى الأبد في المجالِ الأبديّ من وُجُودِنا. (المَزمُور ٢٣).

لِكَي نُلَخِّصَ ما لاحَظناهُ في ديناميكيَّةِ قصَّةِ القِيامَةِ في هذه المرحلَة، علينا أن نطرحَ مُجَدَّداً ثلاثَةَ أسئِلَةٍ: من هُوَ يسُوع؟ إنَّهُ القِيامَةُ – أي الإنتِصارُ على المَوت – وهُوَ الحَياةُ. هذا يَعني أنَّهُ في وَجهِ المَوت، يسُوعُ هُوَ الحلُّ الوحيدُ لمشاكِلِ المَرَضِ والمَوت المُستَعصِيَة.

ما هُوَ الإيمانُ؟ الإيمانُ هُوَ التجاوُبُ معَ مشاكِلِ المَرَضِ والمَوت بعلاقَةٍ صَحيحَةٍ معَ يسُوع المسيح. الإيمانُ نراهُ مُوضَّحاً في تجاوُبِ مريَم. الإيمانُ هُوَ الإقتِناعُ الذي لا يتزعزَعُ أنَّهُ إن لم يَظهَر الرَّبُّ مُباشَرَةً عندما نَظُنُّ أنَّهُ ينبَغي أن يَهُبَّ لِيُنقِذَنا من مشاكِلِنا، فلا بُدَّ أنَّ لهُ أسبابُهُ لعدَمِ الظُّهور. عندما نُصبِحُ في إنسجامٍ تامٍ في علاقَتِنا معَ رَبِّنا الحَيّ المُقام، ستُصبِحُ أفكارُنا وطُرُقُنا مثلَ أفكارِهِ وطُرُقِهِ. وبعدَ ذلكَ سنفهَمُ أنَّهُ لا يُنقِذُنا لأنَّهُ مُلتَزِمٌ بِكَونِنا سنختَبِرُ الحياةَ الفَيَّاضَةَ، ليسَ في هذا العالم فحَسب، بل وفي الأبديَّةِ أيضاً.

الإيمانُ هُوَ أيضاً تجاوُبُ مرثا الصَّادِق معَ الحقيقَةِ المُؤلِمَة عن مَرَضِ ومَوتِ شخصٍ عزيزٍ على قُلُوبِنا. أصعَبُ ما إختَبَرَتْهُ كانَ الألم الذي حَزَّ في قَلبِها لِكَونِ الرَّبِّ الذي أحَبَّتْهُ كثيراً لم يَظهَرْ في الوقتِ المُناسِب لينقِذَ أخاها منَ المَوتِ المُحتَّم. لقد عرفَتْ أنَّهُ كانَ قادِراً أن يشفِيَ أخاها، الأمرُ الذي جعلَ ألمَها أو حُزنَها لا يُحتَمَل.

إنَّها تمَثِّلُ نمُوذجاً للإيمانِ الصَّادِق الذي يَقُولُ التَّالِي: "هذا ما أُؤمِنُ بهِ، ولن أعتَرِفَ بأيِّ شَيءٍ آخر." يُوجَدُ عددٌ في رسالَةِ يعقُوب الذي يُمكِنُ ترجَمَتُهُ كالتَّالِي: "صَلَواتُ الإنسانِ الصَّادِق تتفجَّرُ بالقُوَّة." (يعقُوب ٥: ١٦). الإيمانُ هُوَ أحياناً المُوافَقَة معَ اللهِ حولَ المُستَوى الذي ينتَهي عندَهُ إيمانُنا ويبدأُ شَكُّنا.

الإيمانُ هُوَ أيضاً العَيشُ والثِّقَةُ بالمسيح الذي هُوَ القِيامَةُ والحياة. تأكَّدْ أنَّ تُلاحِظَ أنَّ خُطوَتَين مُنفَصِلَتَين منَ الإيمان تمَّ وصفُهُما في هذه المرحلة من إصحاحِ القِيامَةِ هذا في الكتابِ المُقدَّس. الخُطوَةُ الأُولى هي: آمِن بالمسيحِ الحَيِّ المُقام. الخُطوَةُ الثَّانِيَة: عِشْ حياتَكَ يوميَّاً في المسيح.

وما هي الحياةُ بحَسَبِ هذا الإصحاحِ العظيم من إنجيلِ يُوحَنَّا؟ الحياةُ هي الرَّجاءُ والسَّلامُ اللذين نختَبِرُهُما، لأنَّنا نعرِفُ أنَّنا إذا مُتنا اليومَ أو غداً، فإنَّ مَوتَنا لن يَكُونَ إلا حفلَ تخرُّجٍ وإنتِقالٍ إلى الحالَةِ الأبديَّة منَ الحياة، التي يُخبِرُنا عنها الكتابُ المُقدَّسُ بإستِمرارٍ بأنَّها أعظَمُ بُعدٍ في وُجُودِنا. الحياةُ هي الإقتناعُ الرَّاسِخُ أنَّنا بِسَبَبِ كَونِنا نَعيشُ ونُؤمِنُ بالمسيح، فحتَّى ولو مُتنا جَسَدِيَّاً، فسوفَ نحيا إلى الأبد معَ الرَّبّ.

الفَصلُ الثَّالِث

"إرفَعُوا حجَرَ عدَمِ الإيمان"

(يُوحَنَّا ١١: ٣٣- ٥٧)

الأعدادُ التي تُخبِرُنا بما سيحدُثُ لاحِقاً، تُعطينا أبلغَ صُورَةٍ مَجازِيَّةٍ عنِ الإيمان في إصحاحِ القِيامَةِ هذا. كانَ لِعازارُ مدفُوناً في كَهفٍ، وكانَ يُوجَدُ حجَرٌ كَبيرٌ دُحرِجَ على مدخَلِ هذا الكَهف لإغلاقِ هذا القبرِ الذي كانَ يرقُدُ فيهِ شخصٌ أحبَّهُ يسُوع. "وبينما كانَ واقِفاً أمامَ قبرِ لِعازار، قالَ يسُوعُ لِمَرثا، "ألم أقُلْ لكِ إن آمنتِ تَرَينَ مجدَ الله؟" وجاءَتْ ساعَةُ الحقيقَةِ في هذا

الإصحاح، عندما أعطَى يسُوعُ الأمرَ قائِلاً: "إرفَعُوا الحَجَرَ عن بابِ القَبر." (يُوحَنَّا ١١: ٣٩- ٤٠)

وكما أشَرتُ في مُقدِّمَتي لِهَذا الإنجيل في الكُتَيِّب الثَّالِث والعِشرين، هُناكَ دائماً معنىً أعمَق في إنجيلِ يُوحَنَّا. المعنى الأعمَق هُنا هُوَ أنَّهُ يتوجَّبُ علينا أن نُدحرِجَ حجرَ عدَمِ الإيمان عندما نَجِدُ أنفُسَنا نَقِفُ إلى جانِبِ قبرِ شخصٍ نُحِبُّهُ. المقاطِعُ الكِتابِيَّةُ التي نقرَأُها عادَةً أمامَ قبرِ شخصٍ ما تُؤَكِّدُ قناعَتَنا بأنَّهُ يوماً ما، سيَظهَرُ مجدُ اللهِ عندما يَقُومُ أحبَّاؤُنا منَ المَوت. (٢ كُورنثُوس ١٥: ٤٢- ٤٤؛ ١ تسالُونيكي ٤: ١٣- ١٨).

يُعجِبُني في مَرثا صراحَتُها الكامِلَة وصدقُها المُدهِش. فعندما كانُوا على وشكِ إزاحَةِ الحجَرِ عن بابِ القَبر، قالَت، "يا مُعلِّم، قد أنتَنَ!" وبعدَ أن طرحَ يسُوعُ على مرثا السُّؤالَ الذي تحدَّاها وتحدَّى الحاضِرينَ بأن يُؤمِنُوا، صلَّى صلاةً مُثيرَةً للإهتِمام. في هذه الصَّلاة، شرحَ للآبِ أنَّ ما كانَ يَقُولُهُ لم يَكُن مُوَجَّهاً إلى أُذُنَي اللهِ الآب، بل لأجلِ منفَعَةِ الذي كانُوا يسمَعُونَ تلكَ الصَّلاة (يُوحَنَّا ١١: ٤١، ٤٢).

لقد تكلَّمَ يسُوعُ بإسهابٍ عن وجُوبِ الصَّلاةِ في مخدَعٍ مُغلَق، إذا أردنا أن نتأكَّدَ أنَّ صلاتَنا مُوجَّهةٌ للهِ وليسَ للنَّاس (متَّى ٦: ٥ و٦). إنَّهُ يَقُولُ هُنا بِوُضُوحٍ أنَّ صلاتَهُ كانت على الأقل مُوجَّهَة جُزئِيّاً للنَّاسِ الذين كانُوا يسمَعُونَهُ يُصَلِّي. ومن خلالِ هذه الصَّلاة النَّمُوذَجِيَّة، أظهَرَ لنا أنَّنا عندما نُصَلِّي صلاةً علانِيَةً أو جماعِيَّة، رُغمَ كَونِنا نُوجِّهُ صلاتَنا للهِ، ولكن علينا أن نتذكَّرَ النَّاس الذين يسمَعُونَ صلاتَنا، وأن نجمعَ قُلُوبَهُم معَ قُلُوبِنا خلالَ صلاتِنا.

عندما تمَّ رَفعُ الحَجَرِ عن بابِ القَبر، نجدُ وصفاً للمُعجِزَةِ الرَّائِعة في هذا الإصحاح، عندما وجَّهَ يسُوعُ الأمرَ لِلعازار بِصَوتٍ مُرتَفِع قائِلاً: "لِعازار هَلُمَّ خارِجاً!" خرجَ المَيتُ، ويداهُ ورجلاهُ مَربُوطاتٌ بأقمِطَةٍ ووجهُهُ مَلفُوفٌ بمِندِيل. فقالَ لهُم يسُوعُ حُلُّوهُ ودَعُوهُ يذهَب." (يُوحَنَّا ١١: ٤٣- ٤٤).

يَرَى بعضُ المُفسِّرينَ معنًى أعمَق يتوازَى معَ التَّعليم الذي إكتَشَفناهُ في الإصحاحِ الثَّامِن من هذا الإنجيل (يُوحَنَّا ٨: ٣٠- ٣٦). فعندما آمنَ بعضُ رِجالِ الدِّين اليَهُود، قالَ يسُوعُ للذينَ آمنُوا، "إثبُتُوا في كَلامي،

فتَعرِفُوا الحقَّ والحَقُّ يُحَرِّرُكُم." التَّطبيقُ الشَّخصِيُّ بالنِّسبَةِ لنا هُوَ أنَّنا عندما نلتَزِمُ بأن نُصبِحَ تلاميذَ ليسُوع، إذ نثبُتُ في كلامِ يسُوع كتلاميذَ حقيقيِّينَ لهُ، علينا أن نتوقَّعَ أن نختَبِرَ شَيئاً يُشبِهُ التَّحرُّرَ منَ السِّجن.

عندما خَرَجَ لِعازَارُ منَ القَبرِ وهُوَ لا يزالُ ملفُوفاً بالأقمِطَة، يَعتَقِدُ البَعضُ أنَّ هذا رمزٌ يُعَلِّمُنا أنَّهُ منَ المُمكِنِ أن يختَبِرَ المُؤمِنُ قُوَّةَ قِيامَةِ الولادَةِ الجديدة لفترَةٍ ما، قبلَ أن يتحرَّرَ نهائِياً. ولكنَّ يسُوع لا يُريدُ أن يرى تلاميذَ مَولُودينَ ثانِيَةً، وهُم لا يزالُونَ "أقمِطَةِ القَبرِ" التي كانُوا يرتَدُونَها عندما كانُوا أمواتاً رُوحيَّاً وعندما كانُوا أحياءَ في الخَطيَّة.

أوَدُّ أن أُشيرَ إلى المعنَى الأعمق لهذا المثالِ عن قيامَةِ لِعازار وهُوَ لا يزالُ مَربُوطاً بأقمِطَةِ القَبر. وكما أشَرتُ سابِقاً في تفسيري للإصحاحِ الثَّامِن، لقد إتَّبَعتُ المسيحَ كتِلميذٍ لهُ لأكثَرِ من عشرِ سنواتٍ، قبلَ أن أختَبِرَ الحُرِّيَّةَ التي يَصِفُها يسُوعُ هُنا وفي الإصحاحِ الثَّامِن. أنا شخصيَّاً أجِدُ أنَّ حَلَّ أقمِطَةِ القَبرِ عن الحياةِ القَديمة هُو صُورَةٌ مجازِيَّةٌ جميلَة.

تجاوُبُ اليَهُود

نرى مُجَدَّداً تجاوُباً يَهُودِيَّاً مُنقَسِماً على نفسِهِ تجاهَ الأحداثِ العجائِبِيَّة التي أحاطَت بخِدمَةِ يسُوع. نجدُ تجاوُباً مُتعاطِفاً عندَ بعضِ اليَهُودِ الذين حضَرُوا هذه الجنازَة، بينما كانُوا يُراقِبُونَ شهادَةَ مريَم: "فَكَثِيرُونَ منَ اليَهُودِ الذين جاؤُوا إلى مَريَم ونَظَرُوا ما فعَلَ يسُوعُ آمنُوا بهِ." (يُوحَنَّا ١١: ٤٥)

ولقد رأى اليَهُودُ الذين جاؤُوا ليَزُورُوا مريَم، رأَوا شَيئاً عجيباً كمُعجِزَةِ القِيامَة. عندما رأَوا مريم تتجاوَبُ معَ مُشكِلَةِ كونِ يسُوع لم يُنقِذْ أخاها منَ المرَضِ والمَوت، عندما رأَوها عندَ أقدامِ يسُوع قابِلَةً بِمَشيئَتِهِ، آمنُوا. منَ المُثيرِ للإهتِمامِ أنَّنا لا نقرَأُ أنَّ أُولئِكَ اليَهُودُ الذينَ جاؤُوا ليُعَزُّوا مريم قد آمنُوا.

نجدُ أيضاً ردَّةَ فعلٍ عدائِيَّةً جدَّاً من رِجالِ الدِّينِ اليَهُود. التَّجاوُبُ العَدائِيُّ الذي عُبِّرَ عنهُ بِشَكلِ حِوارٍ، منذُ أن شَفَى يسُوعُ الرَّجُلَ المَريض عندَ بِركَةِ بَيتِ حسدا، وصلَ الآن إلى ذُروَتِهِ (يُوحَنَّا ١١: ٤٦- ٥٧). فتَشَكَّلَ مجلِسٌ من قِبَلِ الفَرِّيسيِّين ليَحبِكُوا مُؤامَرَتَهُم. وقبلَ أن توصَّلُوا إلى

الإستِنتاجِ أنَّهُ عليهِم أن يَقتُلُوا يسُوع، نجدُ نُبُوَّةً غيرَ إعتِيادِيَّة من قِبَلِ رَئيسِ الكَهَنَة قِيافَا.

لقد كانَ يُفَكِّرُ بشكلٍ أساسِيٍّ أنَّ جامَ غضبِ رُوما سوفَ ينصَبُّ على أُمَّةِ اليَهُود، إن لم يُفعَلْ شَيءٌ حيالَ الجماهير المُتجمِّعَة حولَ خدمَةِ يسُوع العجائِبيَّة. وهكذا أعلَنَ قِيافا أنَّ الحُكمَ على يسُوع بالمَوت سيَكُونُ الخُطوة الصَّحيحة والنَّافِعَة التي يتوجَّبُ على رجالِ الدِّين إتِّخاذها (يُوحَنَّا ١١: ٤٦-٥٢).

بعدَ ذلكَ يُدخِلُ الرَّسُولُ يُوحَنَّا تعليقَهُ على سِجِلِّ الأحداث، وهُوَ أنَّ قِيافا، من حَيثُ لا يَدري، كانَ يُعطي نُبُوَّةً أنَّ يسُوع كانَ سيُضَحَّى بهِ ليسَ فقط عنِ اليهُودِ الذين كانُوا يعيشُونَ في إسرائيل، بل وأيضاً عنِ اليُهودِ الذين كانُوا مُشَتَّتِينَ في العالم قاطِبَةً. هذه النُبُوَّةُ غير المُتَعَمَّدَة كانت أنَّ مَوتَ يسُوع لم يَكُن سينتُجْ عنهُ خلاصُ اليَهُودِ جسدِيَّاً فحَسب، بل وأيضاً كانَ سينتُجُ عنهُ خلاصٌ رُوحِيٌّ لِلَّذِينَ يُؤمِنُون. تذَكَّرُوا أنَّ الرُّسُلَ لم يَكُونُوا سيتعلَّمُونَ أنَّ الإنجيلَ هُوَ أيضاً للأُمَم إلى أن نَصِلَ إلى الإصحاحِ العاشِر من سفرِ أعمالِ الرُّسُل في قِراءَتِنا للعهدِ الجَديد.

خُلاصَة

بإمكانِي أن أكتُبَ المَزيد عن الأعداد السَّبعة والخَمسين في هذا الإصحاح، ولكنَّ أفضَلَ طريقَةٍ لتلخيصِ هذا الإصحاح هي بأن نطرَحَ أسئِلَتَنا الثَّلاثَة مُجدَّداً. في الإصحاحِ الحادِي عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا: من هُوَ يسُوع؟ ما هُوَ الإيمانُ؟ وما هي الحياة؟

من هُوَ يسُوع؟ إنَّهُ الإنتِصارُ على المَوت، وهُوَ حياةٌ للذينَ يُؤمِنُونَ وللذين يحيُونَ فيهِ. أُولئكَ الذين يبنُونَ علاقَةً معَ المسيحِ الحَيِّ المُقام، والذين يحيُونَ في المسيح الأبديّ، لهُم حياةٌ أبديَّةٌ، الآن وإلى أبدِ الآبِدين!

ما هُوَ الإيمانُ؟ الإيمانُ هُوَ مُواجَهَةُ المَرَضِ والمَوت، في حالَةِ إيمانٍ وعَيشٍ في الرَّبّ. الإيمانُ هُوَ دحرَجَةُ حجَرِ عدَمِ الإيمان في محضَرِ المَوت، لنرى مجدَ اللهِ من خلالِ مُعجِزَةِ الإنتِصارِ على المَوت. الإيمانُ هُوَ الطَّلَبُ منَ المسيحِ أن ينزِعَ عنَّا "أقمِطَةِ القَبر وأن يُحَرِّرَنا عندما نُؤمِن. "حُلُّوهُ ودَعُوهُ يَذهَب،" هي الصُّورَةُ المجازِيَّةُ الجميلة التي تُمَثِّلُ معنى الإيمان.

ما هِيَ الحياةُ؟ بِحَسَبِ إصحاحِ القِيامَةِ العظيم هذا من إنجيلِ يُوحَنَّا، الحياةُ هي علاقَةٌ معَ المسيحِ المُقام الحَيّ، التي من خلالِها نعلَمُ أنَّهُ بما أنَّنا في إتِّحادٍ معَ الرَّبّ، سوفَ نحيا إلى الأبد. الإيمانُ هُوَ فهمُ كونِ المَوتِ الجسدي هُوَ مُجَرَّدُ تخرُّجٍ وإنتِقالٍ من هذه الحياة إلى المجالِ الأبديّ من حياتنا في المسيح.

لاحِظُوا التَّشديدَ في كَلِمَةِ اللهِ، من تكوين إلى رُؤيا، على كَونِنا مَخلُوقينَ لنُوجَدَ في مجالَين وليسَ في مجالٍ واحِدٍ فَحَسب. فنحنُ مخلُوقينَ لنحيا على الأرضِ لفترَةٍ وجيزَةٍ، ولهذا أعطانا خالِقُنا جسداً أرضِيَّاً مُؤَقَّتاً. ولكنَّنا أيضاً خُلِقنا لنحيا في السَّماءِ في الحياةِ الأبديَّة، ولهذا سوفَ نُعطَى جسداً سماوِيَّاً. الطريقَةُ الوحيدَةُ التي بها يستطيعُ هذا الجسدُ الأرضِيُّ الذي أُعطِيَ لنا أن يتأهَّلَ لِيَحيا في الحالَةِ الأبديَّة، هي بأن يجتازَ هذا الجَسَدُ مرحَلَةَ تحوُّلٍ، أو تغييراً كُلِّيَّاً. والقِيامَةُ هي وَسيلَةُ النَّقلِ لتحقيقِ هذا التَّغيير. (١كُورنثُوس ١٥).

القِيامَةُ ليسَت مُجَرَّدَ إنتِصارٍ على المَوت. فاللهُ سيستخدِمُ مُعجِزَةَ قيامَتِنا الشَّخصيَّة ليُعطِيَنا ذلكَ الجسد السَّماوِيّ الذي سيُؤهِّلُنا بأن نحيا معَ الرَّبِّ إلى الأبد في الحالَةِ الأبديَّة. بهذه الطريقة يَتِمُّ وَصفُ الحالَةِ الأبديَّة في إصحاحِ القِيامَةِ الرَّائِع هذا. تبدأُ هذه الحياةُ الأبديَّةُ في مجالِ هذه الحياة، عندما نُؤمِنُ ونبني علاقَةً معَ المسيحِ المُقام.

في هذا الإطار، تأمَّلُوا مُجدَّداً بقصدِ يُوحَنَّا من كتابَةِ إنجيلِهِ (يُوحَنَّا ٢٠: ٣٠، ٣١). هدَفُهُ الواضِح المُعلَن عنهُ هُوَ إقناعُنا أنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح. وجزءٌ حيويٌّ من هدَفِهِ هي وعدُهُ بأنَّهُ سيَكُونُ لنا حياةٌ أبديَّةٌ عندما نُؤمِن. هذه الحياةُ الأبديَّةُ هي تلكَ النَّوعيَّة منَ الحياة التي أعدَّنا لها اللهُ، والتي من أجلِها خلَّصَنا، ولأجلِها سيُقِيمُنا منَ الموت كما أقامَ يسُوعُ لعازار.

في هذا الإصحاح، نتعلَّمُ أنَّ اللهَ سوفَ يستخدِمُ يَوماً ما مُعجِزَةَ القِيامَة ليجعَلَ منَ الحياةِ الأبديَّةِ حقيقَةً نِهائِيَّةً قُصوى للمُؤمنين. ولكنَّ كلمات يسُوع لِمَرثا تُخبِرُنا أنَّهُ لا ينبَغي علينا أن ننتَظِرَ إلى أن نَمُوتَ ونَقُومَ لكي نختَبِرَ الحياةَ الأبديَّة. بالنِّسبَةِ ليسُوع، تبدَأُ الحياةُ الأبديَّةُ عندما نُؤمِنُ ونَحيا حياتَنا فيهِ.

أحدُ أعظَمِ الأجوبَةِ في هذا الإنجيل وفي كُلِّ كلمَةِ اللهِ على السُّؤال "ما هِيَ الحياة؟" هُوَ التَّحدِّي الذي بهِ إختَتَمَ يسُوعُ تعليمَهُ عنِ القِيامَةِ لمرثا، عندما ماتَ أخُوها: "أنا هُوَ القِيامَةُ والحياة. من آمنَ بي وإن ماتَ فسَيَحيا. وكُلُّ من كانَ حَيَّاً وآمنَ بي، فلن يمُوتَ إلى الأبد. أتُؤمِنينَ بهذا؟" (يُوحَنَّا ١١: ٢٥، ٢٦).

عندما تسمَعُ تحليلاً طبيَّاً بأنَّكَ، لا سمحَ الله، سوفَ تُواجِهُ حقيقَةَ الموتِ، أو أنَّ أحدَ أحِبَّائِكَ سوفَ يُواجِهُ الموت؛ عندما تَقِفُ إلى جانِبِ قَبرِ أحدِ المُؤمنين الذين أحبَبتَهُم كَثيراً، فإنَّ هذا سوفَ يُشكِّلُ التَّحدِّي النِّهائِيّ: أتُؤمِنُ بالأخبارِ السَّارَّة التي نَجِدُها في إصحاحِ القيامَةِ العظيم من إنجيلِ يُوحَنَّا؟

الفَصلُ الرَّابِع
"نِهايَةُ البِدايَة"
(يُوحَنَّا ١٢: ١- ٢٣)

يبدَأُ الإصحاحُ الثَّاني عشر من إنجيلِ يُوحَنَّا كالتَّالِي: "ثُمَّ قَبلَ الفِصحِ بِستَّةِ أيَّامٍ أتَى يسُوعُ إلى بَيتِ عَنيا، حيثُ كانَ لِعازَرُ المَيتُ الذي أقامَهُ منَ الأموَات. فَصَنَعُوا لهُ هُناكَ عشاءً. وكانت مرثا تخدِمُ وأمَّا لِعازارُ فكانَ أحد المُتَّكِئِينَ معَهُ. فأخَذَت مريَمُ منَّاً من طِيبِ نارِدينٍ خالِصٍ كَثيرِ الثَّمَن ودَهَنَت قَدَمَي يسُوع ومَسحَت قَدَمَيهِ بِشَعرِها. فامتَلأَ البَيتُ من رائِحَةِ الطِّيب.

"فقالَ واحِدٌ من تلاميذِهِ وهُوَ يَهُوَّذا سِمعان الإسخَريُوطِيُّ المُزمِعُ أن يُسَلِّمَهُ. لماذا لم يُبَعْ هذا الطِّيبُ بِثلاثمئة دينار ويُعطَ للفُقَرَاء. قالَ هذا ليسَ لأنَّهُ كانَ يُبالِي بالفُقراء بل لأنَّهُ كانَ سارِقاً وكانَ الصُّندُوقُ عندَهُ وكانَ يحمِلُ ما يُلقَى فيهِ. فقالَ يسُوعُ أترُكُوها. إنَّها لِيَومِ تَكفيني قد حَفِظَتْهُ. لأنَّ الفُقَراءَ معَكُم في كُلِّ حِينٍ. وأمَّا أنا فلَستُ معَكُم في كُلِّ حِينٍ.

"فعَلِمَ جمعٌ كَثيرٌ منَ اليَهُودِ أنَّهُ هُناكَ، فجاؤُوا ليسَ لأجلِ يسُوعَ فقَط بل لِيَنظُرُوا أيضاً لِعازار الذي أقامَهُ منَ الأموات. فتَشاورَ رُؤَساءُ الكَهَنَةِ لِيَقتُلُوا لِعازارَ أيضاً. فإنَّ كَثيرينَ منَ اليَهُودِ كانُوا بِسَبَبِهِ يذهَبُونَ ويُؤمِنُونَ بيسُوع." (يُوحَنَّا ١٢: ١- ١١)

يبدَأُ هذا الإصحاحُ بمَشهدِ غَداءٍ آخر يتضمَّنُ مَريَم ومَرثا. وكما نتوقَّعُ، نقرأُ هذهِ الكَلِمَات التي تَصِفُ دَورَ مرثا: "وكانت مرثا تخدِمُ." كانَ هذا نَمُوذَجُ مَوهِبَتِها ودَعوَتِها. نجدُ أيضاً مريم تُظهِرُ دعوَتَها، نَوعَ مَوهِبَتِها، وأولويَّاتِها – أي عندَ قَدَمَي يسُوع، مُقدِّمَةً لهُ تضحِيَةَ عِبادَةٍ غالِيَة جدَّاً.

في تلكَ الحَضَارَة، إعتادَ النَّاسُ أن يستَلقُوا على وَسائِدَ بينما كَانُوا يتناوَلُونَ الطَّعام. وكانت العادَةُ أيضاً أن يغسِلُوا أرجُلَ ضُيُوفِ الوَليمَةِ حالَ وُصُولِهم. في هذا الإطارِ الحضارِيّ قدَّمت مريَمُ هديَّتَها الجميلة في تضحِيَةِ العبادَة. فلقد سَكَبَت طيبَ ناردينٍ زَكِيّ على قَدَمَي يسُوع، كانت تُساوِي قيمَتُهُ أجرَ عامٍ كامِل. فعبقَ المنزِلُ برائِحَةِ الطِّيب.

ولقد سبقَ وذَكَرَنا أنَّهُ في نهايَةِ الإصحاحِ العاشِر من إنجيلِ لُوقا، عندما إتَّهَمت مرثا يسُوع بعدَمِ إكتِراثِهِ لكونِ مريم لم تَكُن تُساعِدُها في خدمَتِهِ، أنَّ يسُوعَ دافَعَ عن مريَم. هُنا أيضاً نَجدُهُ يُدافِعُ عن مريم، وهُوَ يَقُولُ ما فحواهُ، "هذا ذَبيحَةُ عبادَة. فَلَقَد حَفِظَتْ هذا الطِّيب لهذه المُناسَبَة، لكي تتنبَّأَ بشكلٍ رَمزِيٍّ بيَومِ تكفيني." (عدد ٧)

إبتداءً من هذا الإصحاح، سوفَ يُسَجِّلُ النِّصفُ الثَّانِي من هذا الإنجيل أحداثِ أهمِّ أُسبُوعٍ من أهمِّ حياةٍ سبقَ وعاشَها أحدٌ على وجهِ هذه الأرض.

في تِلكَ الأيَّام، وكما رأَينا في حالَةِ لِعازار، كانُوا يُقَمِّطُونَ المَيتَ بالأكفان، كالمُومياء القديمة. وكانُوا يضعُونَ أيضاً أطياباً غالِيَةَ الثَّمَن في الأكفان، لكَي تطغَى على رائِحَةِ المَوتِ الكريهة التي كانت تنبَعِثُ عادَةً منَ الجُثَث.

بينما كانَ يسُوعُ يُدافِعُ عن مريَم، قدَّمَ التَّعليقَ التَّالِي عن نفسِهِ: "لأنَّ الفُقَراءَ معَكُم في كُلِّ حِين، وأمَّا أنا فَلَستُ معَكُم في كُلِّ حِين." (عدد ٨) هذه واحِدَةٌ من عِدَّةِ طُرُقٍ سَريعَةٍ يُقدِّمُها يُوحَنَّا في هذا الإنجيل، ليُؤَكِّدَ أنَّ يسُوعَ هُوَ الله. لقد عبَدَت مريَمُ يسُوعَ، وقَبِلَ يسُوعُ عبادَتَها لهُ. ولقد دافَعَ بالحقيقَةِ عن عبادَتِها له. ولكنَّنا نَجِدُ أنَّ الرُّسُولَين بُولُس وبُطرُس لم يقبَلا أن يسجُدَ لهُما أحدٌ ولا أن يعبُدَهُما (أعمال ١٠: ٢٥ و٢٦، ١٤: ١١- ١٨).

ولكنَّ يسُوعَ كانَ أكثَرَ من مُجَرَّدِ إنسانٍ، وكونَهُ الله في صُورَةِ إنسان، قَبِلَ منَ النَّاسِ سُجُودَهُم وعبادَتَهُم لهُ.

إنَّ كاتِبَ هذا الإنجيل يُدخِلُ تعليقَهُ بأنَّهُ ليسَ لأنَّ يَهُوَّذا كانَ يهتَمُّ بالفُقراء قالَ ما قالَهُ حِيَالَ ثَمَنِ هذا الطِّيب الذي سكبَتْهُ مريَمُ على قَدَمَي يسُوع، وأنَّهُ كانَ ينبَغي أن يُعطَى لِلفُقَراء. فيُوحَنَّا قالَ بدُونِ تحَفُّظٍ أنَّ يَهُوَّذا قالَ هذا لأنَّهُ كانَ لِصَّاً.

تُعجِبُني الطَّريقة التي يكتِبُ بها يُوحَنَّا. في رسالتِهِ الصَّغيرة، في نهايَةِ العهدِ الجديد، والتي تُسَمَّى بِرسالَة يُوحَنَّا الأُولى، نَجِدُهُ بَسيطاً ومُباشَراً عندما يُخبِرُنا كيفَ يُمكِنُنا أن نعرِفَ إنْ كُنَّا مُؤمنينَ حقيقيِّين. يكتُبُ قائِلاً أنَّنا إن قُلنا أنَّ لنا شَرِكَةٌ معَ المسيح ولكنَّنا إستَمَرَّينا بالسُّلُوكِ بالظُّلمَة، نكُونُ كاذِبين! (١يُوحَنَّا ١: ٦؛ ٤: ٢٠، ٢١). فعندما أضافَ يُوحَنَّا تعليقَهُ حولَ يهُوَّذا، كتبَ يقُولُ بِبَساطَة، "قالَ هذا لأنَّهُ كانَ سارِقاً ولِصَّاً." ثُمَّ يُخبِرُنا يُوحَنَّا بأنَّ يَهُوَّذا الإسخريُوطِي كانَ أمِينَ الصُّندوق، وكانَ يسرِقُ منهُ دائماً.

يَظُنُّ البَعضُ أنَّهُ بما أنَّ يسُوعَ قالَ، "الفُقراء معَكُم في كُلِّ حِين، علينا أن لا نهتَمَّ كَثيراً بمُساعَدَةِ الفُقراء. ولكن ليسَ هذا ما قصدَهُ يسُوع. بل كانَ يُشيرُ إلى أنَّهُ سوفَ تكُونُ الفُرصَةُ سانِحَةً دائماً لنا لنُساعِدَ الفُقراء، ولكن لن تَكُونَ الفُرصَةُ سانِحَةً دائماً لِيَكُونَ يسُوعُ معنا في الجسد. لهذا كانَ منَ المُناسِبِ جداً لمريم أن تُقدِّمَ هذه العبادَة الجميلة والمُكلِفَة، والتي إعتَبَرَها يسُوعُ تُشيرُ رمزِيَّاً إلى مَوتِهِ ودفنِهِ.

نقرَأُ أنَّ جُمُوعاً كثيرَةً تجمهَرَت حولَ هذا المنزِل، ليسَ فقط لِيَرَوا يسُوع، بل أيضاً لِيَرَوا لِعازارُ الذي سبقَ وأقامَهُ يسُوعُ منَ الموت. لهذا، قامَ رُؤساءُ الكَهَنة، الذي كانُوا أصلاً يُعِدُّونَ خُطَّةً لِيقتُلُوا يسُوع، قامُوا بالتَّخطيطِ لقتلِ لعازار أيضاً، لأنَّ مُعجِزَةً إقامَتِهِ منَ الموت جعَلَت الكثيرِينَ منَ اليَهُود يُؤمِنُونَ بيسُوع.

وكما سبقَ ورأينا في الإصحاحِ الحادِي عَشَر من هذا الإصحاح، عندما نُؤمِنُ بالمسيح ونحيا فيهِ، لن نَمُوتَ إلى الأبد. وبينما نُتابِعُ عَيشَ حياتِنا في المسيح في هذا العالم، بمعنى ما سنختَبِرُ قيامَةً شَخصِيَّةً. وصفَ بُولُس هذه القيامة كالتَّالِي: "إن كانَ أحدٌ في المسيح فهُوَ خليقَةٌ جديدة.

الأشياء العَتيقة قد مَضَت. هُوَّذا الكُلُّ قد صارَ جديداً. (٢كُورنثُوس ٥: ١٧، ١٨).

بمعنىً ما، هذا تَحَوُّلٌ أو إختِبارٌ للإنتِصارِ على المَوت. فإذا كُنتَ قدِ إختَبَرتَ الوِلادَةَ الجديدة، إحدَى الطُّرُق التي يُمجِّدُ بها إختِبارُكَ اللهَ ويُعظِّمُ يسُوعَ المسيح، هي عندما يأتي أشخاصٌ للإيمانِ بالمسيح عندما يرَونَ أيَّ نَوعٍ منَ الخليقَةَ الجديدَةً قد أصبَحتَ. ومثل لعازار، سوفَ يُجذَبُونَ إلى يسُوع عندَما سيَرَونَ المُعجِزَة التي عَمِلَت في حياتِكَ.

سيَكُونُ أيضاً أُولئكَ الذين يكرَهُونَ المسيح الذي يسكُنُ فيكَ، ولذلكَ سيَكرَهُونَكَ أنتَ أيضاً. وقد يُحاوِلُونَ أن يتآمَرُوا ليقتُلُوكَ كما أرادُوا قتلَ لِعازار.

أحدُ الشَّعانِين الأوَّل

وإذ ننتَقِلُ إلى الإصحاحِ الثَّانِي عَشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا، نَصِلُ إلى مرحَلَةٍ إنتِقالِيَّةٍ في هذه الإصحاحاتِ الأحد والعشرين من هذا الإنجيل، حيثُ تنقسِمُ هذه الإصحاحاتُ تقريباً إلى نِصفَين. تقريباً نِصفُ إصحاحات هذا الإنجيل تُغَطِّي السَّنواتِ الثَّلاث والثَّلاثِين من أهَمِّ حياةٍ عاشَها إنسانٌ على الأرض. ولكن عندَما نقرَأُ هذا الإصحاح، نكتَشِفُ أنَّ النِّصفَ الثَّانِي من هذا الإنجيل سيُشَدِّدُ بشكلٍ أساسِيٍّ على أُسبُوعٍ واحِدٍ فقط – ألا وهُوَ الأُسبُوعُ الأخيرُ من حياةِ يسُوع المسيح.

وكما أشَرتُ مراراً في تعليمي للأناجيلِ الأربَعة، هذا الأُسبُوع من حياةِ المسيح تمَّ التَّشديدُ عليهِ لأنَّهُ فيهِ ماتَ يسُوع على الصَّليبِ وقامَ منَ المَوت لأجلِ خلاصِ العالم. والأحداثُ التي سيَصِفُها يُوحنَّا منَ الآن فصاعِداً، تبدَأُ هذا الأُسبُوع البالِغ الأهمِّيَّة في حياةِ وخدمَةِ يسُوع المسيح. نُسمِّي هذا الأُسبُوع "الأُسبُوعَ المُقدَّس" أو الأُسبُوع الذي يبدَأُ بأحدِ الشَّعانِين وينتَهي بما يُسمِّيهِ الملايين بأحدِ الفِصح، أو "أحد القِيامَة."

نِهايَةُ البِدايَة

هُنا قَرُبَت نهايَةُ السَّنواتِ الثَّلاث التي قضاها يسُوعُ في الوعظِ والتَّعليمِ والشِّفاءِ وتدريبِ الرُّسُل، وهُنا أيضاً أوشَكَ عمَلُهُ الأكثَرُ أهمِّيَّةً على البِدايَة. لا تُشَكِّلُ هذه بِدايَةُ نهايَةِ خدمَتِهِ. بمعنى ما تَصِفُ أحداثُ هذا الإصحاح نهايَةَ بِدايَةِ خدمةِ يسُوع. فها هُو الآن يدخُلُ إلى عملِهِ الأكثر

أهمِّيَّةً، ألا وهُوَ مَوتُهُ وقيامَتُهُ، والذي سيُتبَعُ بِصُعُودِهِ، بيومِ الخَمسين، بولادَةِ الكنيسة، وبِعَمَلِ المسيحِ العجائِبِيّ الذي إنطَلَقَ منذُ ذلكَ الحِين ولا يزالُ مُستَمِرَّاً حتَّى يومِنا هذا. يُقدِّمُ لنا إنجيلُ يُوحَنَّا نهايَةَ بِدَايَةِ حياةِ وخِدمَةِ يسُوع المسيح، عندَما نقرَأُ: "وفي الغَدِ سَمِعَ الجمعُ الكَثيرُ الذي جاءَ إلى العِيد أنَّ يسُوعَ آتٍ إلى أُورشَليم. فأخَذُوا سُعُوفَ النَّخلِ وخَرَجُوا لِلِقائِهِ وكانُوا يصرُخُونَ أُوصَنَّا مُبَارَكٌ الآتي بإسمِ الرَّبّ مَلِكُ إسرائيل."

"ووَجَدَ يسُوعُ جحشاً فجَلَسَ عليهِ كما هُوَ مَكتُوبٌ. لا تَخَافِي يا إبنَةَ صِهيَون. هُوَذا مَلِكُكِ يَأتِي جالِساً على جَحشِ أتان. وهذه الأُمُور لم يفهَمْها تلاميذُهُ أوَّلاً. ولكن لمَّا تمجَّدَ يسُوعُ حينئذٍ تذَكَّرُوا أنَّ هذه كانت مكتُوبَةً عنهُ وأنَّهُم صَنَعُوا هذه لهُ.

"وكانَ الجَمعُ الذي معَهُ يَشهَدُ أنَّهُ دَعَا لِعازار منَ القَبرِ وأقامَهُ منَ الأموات. لِهذا أيضاً لاقاهُ الجَمعُ لأنَّهُم سَمِعُوا أنَّهُ كانَ قد صَنَعَ هذه الآيَة. فقالَ الفَرِّيسيُّونَ بَعضُهُم لِبَعضٍ أنظُرُوا. إنَّكُم لا تَنفَعُونَ شَيئاً. هُوَذا العالَمُ قد ذهبَ وراءَهُ." (يُوحَنَّا ١٢: ١٢- ١٩).

وكما يُشيرُ لنا يُوحَنَّا هُنا، معنَى هذا الحدَث يُظهِرُهُ لنا أحدُ الأنبياء (زَكَرِيَّا ٩: ٩). نَبِيٌّ آخَر كتبَ قائِلاً أنَّ المسيحَ سيأتي "فجأَةً". (ملاخِي ٣: ١). ينبَغي أن تُترجَمَ كلمة "فجأَةً": "بِشكلٍ غَيرِ مُتَوقَّع،" أي أنَّهُ لن يأتِيَ بالطريقَةِ التي نتوقَّعُ مجيءَ المسيَّا بها.

القادَةُ الرُّوحِيُّونَ للشَّعبِ اليَهُودِيّ كانَت لَدَيهِم أفكارُهُم عنِ كيفيَّةِ مجيءِ المسيَّا إلى هذا العالم. أفكارُهُم كانَت مبنِيَّةً على الأسفارِ الإلهيَّة المُقدَّسة، التي كانت تُمِّمَت عندما جاءَ يسُوع، ولكنَّها ستَكتَمِلُ فقط عندَ مجيءِ المسيح ثانِيَةً (إشعياء ٦١: ١ و٢). حتَّى الرُّسُل آمنُوا أنَّ المَسِيَّا سيُطيحُ بالأمبراطُوريَّةِ الرُّومانِيَّة ويُنقِذُ إسرائيل بالمعنى الحرفِي والسِّياسِيّ (أعمال ١: ٦). إن كانَ أُولئكَ الذي إعتَرَفُوا بأنَّهُم شَعبُ الله، إن كانُوا قد فَهِمُوا الأنبياء، لكَانُوا قدِ إندَهَشُوا عندما دخلَ يسُوعُ راكِباً على الجحشِ إلى أُورشَليم.

إذ نُحاوِلُ أن نفهَمَ معنَى أحدَ الشَّعانِين الأوَّل، علينا أن نُفَكِّرَ بِسَفِيرٍ يُقدِّمُ أوراقَ إعتِمادِهِ في مملكَةٍ أجنَبِيَّة. عندما يذهَبُ سَفيرٌ ما إلى بَلدٍ أجنَبِيٍّ لِيُمَثِّلَ ملِكَهُ، أو رَئيسَ دولَتِهِ، قد يقضِي في تلكَ البِلاد الأجنَبِيَّةِ وقتاً مُعَيَّناً

قبلَ أن يذهَبَ إلى القَصرِ الملكي أو الجُمهُوريّ لهذا البَلَد الأجنَبِي ويُقدِّمَ نفسَهُ وأوراقَ إعتِمادِهِ كسَفِير.

يسُوعُ هُوَ سَفيرٌ منَ السَّماءِ، يُمَثِّلُ أباهُ السَّماوي في بِلادٍ أجنَبيَّة. فلقد تركَ يسُوعُ السَّماءَ ليأتِيَ إلى هذا العالم. ولقد قضى فترَةً زَمَنِيَّةً في هذا العالم وأنجزَ أعمالاً رائِعَة. وها هُوَ الآن يُقَدِّمُ نفسَهُ لهذا العالَم كَسَفِيرٍ منَ السَّماء.

ولكنَّهُ لم يَذهَبْ إلى العاصِمَة السِّياسِيَّة للعالَم ويُقدِّمْ نفسَهُ لِرُوما. ولم يذهَبْ إلى إحدَى عواصِمِ الخَطيَّة، كَكُورنثُوس أو أفسُس مثلاً. بَل ذهَبَ إلى العاصِمَة الرُّوحِيَّة للعالَم، وخاطَبَ شَعبَ اللهِ وقادَةَ شَعبِ الله. أنا مُتَيَقِّنٌ أنَّهُ فعلَ هذا لأنَّهُ أدرَكَ أنَّ خُطَّةَ اللهِ هي أن يستخدِمَ شعبَهُ لإتمامِ مقاصِدِهِ. وهُوَ يعلَمُ أنَّ شعبَ اللهِ "عملاقٌ نائِمٌ" ولقد أرادَ إيقاظَهُ.

في الإصحاحِ الحادِي والعِشرين من إنجيلِ متَّى - وهُوَ واحِدٌ من أكثَرِ الإصحاحاتِ دينامِيكيَّةً في الأناجيل - يأخُذُ يسُوعُ المَلَكُوتَ رَسمِيَّاً منَ اليهُود ويُعلِنُ أنَّهُ سيُعطِي هذا المَلَكُوت للأُمَم (أي لِغَيرِ اليَهُود) الذين سيأتُونَ بِثمارِ هذا الملكوت.

يُسَجِّلُ سِفرُ الأعمالِ مُعجِزَةَ كَونِ كنيسةِ المسيح التي بناها ولا يزالُ يبنِيها الآن، هي حَيثُ نجدُ شَعبَ اللهِ الذي أعطاهُ المسيحُ الحَيُّ المُقامُ ذلكَ المَلَكُوت الذي أخَذَهُ منَ اليهُود. هذا لا يعني أنَّ الكنيسة كانت فكرَةً أو مشرُوعاً مُلحَقاً مُفاجِئاً للمسيح. فيسُوعُ أعلنَ بِوُضُوحٍ في إنجيلِ متَّى، قبلَ أن يأخُذَ الملكوت منَ اليَهُود، أنَّ كُلَّ قُوَّاتِ الجحيم لم تقدِر أن تمنَعَهُ من بُنيانِ كَنيستِهِ (متَّى ١٦: ١٨).

بطَريقَةٍ أو بأُخرى، تُعتَبَرُ الكنيسَةُ نائِمَةً اليَوم. ولكنَّ الكَنيسَةَ هي عِملاقٌ نائِم. لو تمكَّنَ إيقاظُ شعبِ اللهِ في الكنيسة، وتوعِيَتُهم عمَّن هُم، ولماذا خلَّصَهُم يسُوعُ ووضَعَهُم ستراتيجيَّاً في هذا العالم، لأصبَحَت كنيسةُ المسيحِ عملاقاً جَبَّاراً بالفِعل.

منَ السَّهلِ أن نفقُدَ صَبرَنا معَ شَعبِ الله، وأن نتجاهَلَهُم ونَظُنَّ أنَّ اللهَ لن يعمَلَ شَيئاً من خلالِهم. ولكن، لاحِظُوا أنَّهُ عَبرَ تاريخِ الكَنيسة، عمَلُ اللهِ كانَ ولا يزالُ يتحقَّقُ في هذا العالم من خلالِ شَعبِ الله. إنَّ كَلِمَة "كنيسة" تعني حَرفِيَّاً، "شَعبٌ مَدعُوٌّ إلى خارِج،" أي مَدعُوُّونَ للخُرُوجِ من هذا

العالم ليَتبَعُوا ويُطِيعُوا المسيحَ الحَيَّ المُقام. وبعدَ ذلكَ يُعادُ إرسالُهُم إلى هذا العالم ليَكُونُوا أدواتٍ يستَخدِمُها الرَّبُّ لخلاصِ العالم (يُوحَنَّا ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١)

بما أنَّ هذا هُوَ أحدُ المبادِئ الرُّوحيَّة المُطلَقَة، وواحِداً من خدماتِ يسُوع الستراتيجيَّة المُمَيَّزَة، لاحِظُوا كَم منَ الوقتِ قَضَى يسُوعُ محاوِلاً أن يُوقِظَ "العملاق النَّائِم" – أي شعب الله. أنظُرُوا كيفَ يَدعُوا شعبَ اللهِ بطريقَةٍ عَلَنِيَّة. تأمَّلُوا بالوقتِ وبالطَّاقَةِ التي وظَّفَها يسُوعُ في تلكَ المراحِلِ منَ الحوارِ العَدائِي معَ قادَةِ الشَّعبِ اليَهُودِيّ.

لاحِظُوا أنَّهُ وصلَ إلى العديدِ من هؤُلاء القادَة عندما أنهَى عِظَتَهُ الرَّائِعة في نهايَةِ الإصحاحِ الثَّامِن من هذا الإنجيل. ولقد وصلَ أيضاً إلى نيقُودِيمُوس، مُعلِّم النَّامُوس المُمَيَّز. فهل يا تُرى كانَ شاوُل الطَّرسُوسِيُّ حاضِراً في إحدىً جلساتِ الحوارِ العدائِي هذه التي جَرَت بينَ يسُوع وبينَ القادَة الدِّينيِّين؟ وفي جسدِهِ المُقام، رَجَعَ المسيحُ ليتكلَّمَ معَ ذلكَ الفَرِّيسيّ الأصيل على طريقِ دِمشق. فأصبَحَ شاوُل الطَّرسُوسِيّ الرَّسُول بُولُس العَظيم.

الفَصلُ الخامِس
"جاءَتِ السَّاعَة"
(يُوحَنَّا ١٢: ٢٠- ٥٠)

يتبَعُ أحداثُ أحدِ الشَّعانِين الأوَّل تعليقٌ عنِ الأشخاص الذينَ تأثَّرُوا بِقِيامَةِ لِعازار. لقد تابَعُوا نشرَ الكلمة. ولقد رَأينا أنَّهُ بما أنَّ جَمعاً كبيراً راحَ يتجمهَرُ حَولَ يسُوع في كُلِّ مرَّةٍ كانَ يظهَرُ فيها، قالَ الفَرِّيسيُّونَ: "هُوَّذا العالَمُ قد ذَهَبَ وراءَهُ." (يُوحَنَّا ١٢: ١٩).

هَؤُلاء القادة الدِّينيُّون كانُوا بالحقيقَةِ ينطِقُونَ بنُبُوَّةٍ عندما قدَّمُوا هذه المُلاحَظة. فلقد كانت دائماً خُطَّةُ اللهِ أن تكُونَ خِدمَةُ يسُوع مُوجَّهَةً للعالَمِ أجمَع (تكوين ١٢: ٣؛ لُوقا ٢: ١٠). لأنَّهُ هكذا أحَبَّ اللهُ العالَمَ، وليسَ فقط شعب إسرائيل المُختار، قبلَ أن يختارُوا هُم بأنفُسِهِم أن لا يَكُونُوا مُختارِينَ. في هذه المرحلة من إنجيلِ يُوحَنَّا، يُخبِرُنا الرَّسُولُ المَحبُوب أنَّ مُهِمَّةَ يسُوع المسيح كانَت مُوجَّهَةً بِوُضُوحٍ إلى العالَمِ أجمَع.

في قِمَّةِ هذهِ الشَّعبِيَّة، جاءَ يُونانِيُّونَ إلى فِيلبُّس قائِلينَ: "يا سَيِّد، نُريدُ أن نرى يسُوع." فِيلبُّس أخبَرَ أندراوُس عن طَلَبِ هؤُلاء اليُونانِيِّين؛ وأندراوُس وفيلبُّس قالا بِدَورِهِما ليسُوع. بِمعنىً ما، يُمَثِّلُ طَلَبُ هؤُلاء اليُونانِيِّين ما ينبَغي أن يَكُونَ مَوقِفُنا عليهِ خلالَ قِراءَتِنا لهذا الإنجيل. إذ علينا أن نقرَأَ الإنجيل باحِثِينَ عن يسُوع.

قامَ شُيُوخُ أوَّلِ كنيسَةٍ رَعيتُها بإلصاقِ قَولٍ منحُوتٍ إلى داخِلِ المنبَر الذي يعظُ منهُ راعي الكنيسة. وفي كُلِّ مرَّةٍ كُنتُ أعِظُ، كُنتُ أنظُرُ إلى هذه الكَلِمات: "يا سَيِّد، نُريدُ أن نرى يسُوع." ما كانَ يُشَدِّدُ عليهِ شُيُوخُ الكَنيسة كانَ: نُريدُ أن نرى يسُوعَ عندما تتكلَّمُ أنتَ أو أيُّ واعظٍ آخر من هذا المَنبَر.

سُرعانَ ما سَمِعَ يسُوعُ أنَّ هؤُلاء اليُونانِيِّينَ يطلُبُونَ رُؤيَتَهُ، حتَّى أجابَهُم، "جاءَتِ السَّاعَةُ ليَتَمجَّدَ إبنُ الإنسان." (١٢: ٢٣)

خلالَ قراءَتِنا عبرَ هذه الإصحاحاتِ الإثنَي عشَر، رأينا أنَّ يسُوعَ كانَت لديهِ أولويَّاتُهُ الخاصَّة من ناحِيَةِ وقتِهِ. فلقد قالَ لأُمِّهِ قبلَ أن يُحَوِّلَ الماءَ خمراً، "لم تأتِ ساعَتي بَعد." (يُوحَنَّا ٢: ٤) وعندما إقتَرَحَ إخوَتُهُ عليهِ ما ينبَغي أن يَكُونَ برنامَجُ عملِهِ، أوضَحَ لهُم أنَّ لَدَيهِ برنامج عمل وكُلُّ بَندٍ على هذا البرنامجِ كانَ ينبَغي أن يَكُونَ بِمَشيئَةِ الآب. نقرَأُ أنَّ يسُوعَ قالَ: "لم تأتِ ساعَتي بَعد." (يُوحَنَّا ٧: ٦) ولقد كرَّرَ هذا التَّصريح بِقولِهِ، "وقتي لم يُكمَلْ بعد." (يُوحَنَّا ٧: ٨). في الإصحاحِ التَّالِي، نقرَأُ أنَّهُ "لم يُمسِكْهُ أحدٌ لأنَّ ساعَتَهُ لم تَكُنْ قد جاءَت بَعدُ." (يُوحَنَّا ٨: ٢٠)

هذا يُحَضِّرُنا لنُقدِّرَ مدى خُطُورَة ما قصدَهُ يسُوعُ عندما قالَ، "لم تأتِ السَّاعَةُ بعد." (يُوحَنَّا ١٢: ٢٣). هذه الكَلمات تَعني أنَّهُ كانَ على وشكِ البَدءِ بعملِهِ البالِغ الأهمِّيَّة – كانَ يدخُلُ إلى عمَلِ الصَّليب، المَوت، القِيامَة، وبدايَة العمل الذي سيستَمِرُّ إلى مجيئِهِ الثَّانِي وسيتخطَّاهُ وُصُولاً إلى مُلكِهِ الأبديّ الذي لن ينتَهِي. نحنُ الآن مُهَيَّأُونَ لإكتِشافِ واحِدٍ من أكثر المقاطِع أهمِّيَّةً في الإنجيل: "قد أتَتِ السَّاعَةُ ليَتَمَجَّدَ إبنُ الإنسان. الحقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم إن لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الحِنطَةِ في الأرضِ وتَمُتْ فَهِيَ تَبقَى وحدَها. ولكن إن ماتَت تأتِي بِثَمَرٍ كَثِير. من يُحِبُّ نفسَهُ يُهلِكُها، ومن يُبغِض نفسَهُ في هذا

العالم يحفَظها إلى حياةٍ أبديَّة. إن كانَ أحَدٌ يخدِمُني فليَتبَعني. وحَيثُ أكُونُ أنا هُناكَ أيضاً يَكُونُ خادِمِي. وإن كانَ أحدٌ يخدِمُني يُكرِمُهُ الآبُ."

"الآن نفسِي قدِ إضطَّرَبَت. وماذا أقُولُ. أيُّها الآبُ نَجِّنِي من هذه السَّاعَة. ولكن لأجلِ هذا أتَيتُ إلى هذه السَّاعَة. أيُّها الآبُ مَجِّدِ إسمَكَ. فجاءَ صَوتٌ منَ السَّماءِ مَجَّدتُ وأُمَجِّدُ أيضاً. فالجمعُ الذي كانَ واقِفاً وسَمِعَ، قالَ قد حَدَثَ رَعدٌ. وآخرُونَ قالُوا قد كَلَّمَهُ ملاكٌ. أجابَ يسُوعُ وقالَ ليسَ من أجلِي صارَ هذا الصَّوتُ بَل من أجلِكُم. الآنَ دَينُونَةُ هذا العالم. الآنَ يُطرَحُ رَئيسُ هذا العالم خارِجاً. وأنا إنِ إرتَفَعتُ عنِ الأرض، أجذِبُ إليَّ الجَميع."

"قالَ هذا مُشيراً إلى أيَّةِ مِيتَةٍ كانَ مُزمِعاً أن يَمُوتَ. فأجابَهُ الجَمعُ نحنُ سَمِعنا منَ النَّامُوسِ أنَّ المسيحَ يبقَى إلى الأبد. فكَيفَ تَقُولُ أنتَ إنَّهُ ينبَغي أن يرتَفِعَ إبنُ الإنسان. من هُوَ هذا إبنُ الإنسان." (يُوحَنَّا ١٢: ٢٣-٣٤)

في إجابَتِهِ على عَدَمِ إيمانِهِم الواضِح، إقتَبَسَ مقطَعين من إشَعيَاء، حيثُ يُطرَحُ السُّؤالُ لماذا يُؤمِنُ البَعضُ ولا يُؤمِنُ البَعضُ الآخر. بدَأَ إشَعيَاءُ إحدَى أهمّ عظاتِهِ (أو إصحاحاتِهِ) بالسُّؤال: "من صَدَّقَ خَبَرَنا، ولِمَنِ إستُعلِنَت ذِراعُ الرَّبّ؟" وفي مكانٍ آخر، يُعَلِّمُ إشَعياءُ أنَّنا عندَما نرى التَّجاوُبَ بِعَدَمِ الإيمان، أحياناً يَكُونُ السَّبَبُ أنَّ اللهَ أعمَى عيُونَ أُولئِكَ الذينَ لا يُؤمِنُون (إشَعياء ٥٣: ١؛ ٨: ١٠).

"فقالَ لهُم يسُوعُ النُّورُ معَكُم زَماناً قَليلاً بعد. فَسِيرُوا ما دامَ لكُمُ النُّورُ لِئلا يُدرِكَكُم الظَّلامُ. والذي يَسِيرُ في الظَّلام لا يَعلَمُ إلى أينَ يذهَبُ. ما دامَ لكُمُ النُّورُ، آمِنُوا بالنُّور لِتَصِيرُوا أبناءَ النُّور. تكلَّمَ يسُوعُ بِهذا ثُمَّ مَضَى وإختَفَى عنهُم."

في هذا المَقطَع، يقتَبِسُ يُوحَنَّا قَولَ يسُوع أنَّ الصَّليبَ كانَ الغايَةَ الأساسِيَّةَ لمجيئِهِ إلى هذا العالم. في حوارِهِ معَ مُعَلِّمِ النَّامُوس نيقُوديمُوس، قدَّمَ يسُوعُ تصريحاً واضِحاً ومُوجَزاً عن مُهِمَّتِهِ الإرساليَّة، عندما قالَ لمُعلِّمِ النَّامُوسِ هذا ما معناهُ: "ينبَغي أن أُرفَعَ (أي أن أُصلَبَ)، لأنِّي أنا إبنُ اللهِ الوحيد، وأنا حَلُّ اللهِ الوحيد، وأنا المُخلِّصُ الوحيدُ المُرسَلُ منَ الله." (يُوحَنَّا ٣: ١٤- ٢١). في هذا المقطَع هُنا في الإصحاحِ الثَّانِي عَشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا، نجدُ التَّصريحَ الإرسالِيَّ الواضِحَ والمُختَصَر ذاتَهُ.

وعندما وصلَ إلى ساعَتِهِ، وكانَ يُواجِهُ الصَّليب، إستَخدَمَ صُورَةً مجازِيَّةً جميلَةً عندَما قالَ، "حبَّةُ الحِنطَةِ إن لم تقَعْ في الأرضِ وتَمُتْ فهِيَ تبقَى وحدَها. ولكن إن ماتَت، تأتي بِثَمَرٍ كَثير." (٢٤) لقدِ إستَخدَمَ نامُوساً طبيعيَّاً ليُعلِّمَ نامُوساً رُوحِيَّاً. وكونهُ المُعلِّم الأعظَم، إنطَلَقَ منَ المَعلُومِ إلى المَجهُول، لكَي نتمكَّنَ من فهمِ حقيقَةٍ رُوحيَّة. وبما أنَّنا مُعتادِينَ على أن نُلاحِظَ دَورِيَّاً النَّواميس الطَّبيعيَّة، غالِباً ما يستَخدِمُ يسُوعُ إيضاحاتٍ منَ الطَّبيعة. مثلاً، "تأمَّلُوا زنابِقَ الحقلِ كيفَ تنمُو،" – ثُمَّ تأمَّلُوا كيفَ تنمُونَ أنتُم رُوحِيَّاً. (متَّى ٦: ٢٨).

وهذا ما يَفعَلُهُ هُنا. فإن لم تُدفَن حبَّةُ الحِنطَةِ أو إن لم تُزرَعْ في التُّرابِ، فهِيَ تبقَى مُجَرَّدَ حبَّةِ قَمح، وستبقَى هكذا مدَى العُمر. ولكن عندمَا تُدفَنُ في التُّراب، تُنتِجُ عدَّةَ بُذُورٍ مثلَها. يُطَبِّقُ يسُوعُ هذا المبدَأُ أوَّلاً على نفسِهِ، فيما يتعلَّقُ بموتِهِ على الصَّليب. فهُوَ يَقُولُ أنَّهُ هُوَ حَبَّةُ الحِنطَة، وينبَغي أن يُصلَبَ، وأن يُدفَنَ ويَقُومَ منَ المَوت، لأن هذه هي الطريقة التي سيجعَلُهُ اللهُ بها مُثمِراً.

ثُمَّ يُطَبِّقُ المبدَأَ على أيِّ شَخصٍ يدعُوهُ رَبَّاً ويُسمِّي نفسَهُ تلميذاً يتبَعُ يسُوع. ويختُمُ يسُوعُ هذا التَّعليمِ العَميق بتصريحٍ عَلَنِيٍّ أنَّنا إذا دَعَونا أنفُسَنا تلاميذَهُ، فسوفَ نتبَعُهُ ونخدُمُهُ بتطبيقِ هذا المبدَأِ على حَياتِنا.

بهذه الطريقة يُوضِحُ لاحِقاً جَوهَرَ هذا المبدَأ الذي علَّمَهُ: "من يُحِبُّ نفسَهُ يُهلِكُها. ومن يُبغِضُ نفسَهُ في هذا العالم يحفَظُها إلى حياةٍ أبديَّة." نجدُ هذا التَّطبيقِ التَّوضِيحي مُسَجَّلاً أيضاً في الأناجيلِ الأُخرى. (لُوقا ٩: ٢٣-٢٥؛ متَّى ١٠: ٣٩؛ مرقُس ٨: ٣٥).

يُعَلِّمُ يَسُوعُ هُنا بعضَ الحقائِقِ الرُّوحِيَّةِ عنِ الحياة. ولكي نفهَمَ إيضاحَهُ هذا بِشَكلٍ أفضَل، دَعُونا نتخيَّلُ ساعَةً رَمليَّة. ولنَدَعِ الزُّجاجَ يُمَثِّلُ جسدَنا، والرَّملَ يُمَثِّلُ حياتَنا في هذا الجسد. لن يكُونَ بإمكانِنا أن نُوقِفَ الوقتَ عنِ الضَّياع تماماً كما لا يُمكِنُنا أن نُوقِفَ الرَّملَ عنِ الإنسيابِ عبرَ هذه السَّاعَةِ الرَّمليَّة. يُعَلِّمُنا يسُوعُ هُنا أنَّهُ لن يَكُونَ بإمكانِنا أن نُخَلِّصَ أو أن نحفَظَ حياتَنا. وهذا ما قصدَهُ المُرَنِّمُ عندما قالَ في المَزمُور ٢٢: ٢٩ ما معناهُ، "لا أحدَ يستَطيعُ أن يُحيِيَ نفسَهُ."

فنحنُ لا نَستَطيعُ أن نُخَلِّصَ حياتَنا، ولا أن نُحافِظَ عليها. بالحقيقة، الكائِنُ البَشَريُّ الذي يُحاوِلُ أن يَحفَظَ حياتَهُ، سَيَكُونُ أكبَرَ خاسِرٍ لحَياتِهِ، بِحَسَبِ يسُوع. فهَل تستطيعُ أن تتصوَّرَ نفسَكَ تقُولُ، "سوفَ أحبِسُ نفسِي وأجلِسُ لأُحافِظَ على حياتِي؟"

ذاتَ يَومٍ كُنتُ أركُضُ في الهواءِ الطَّلقِ في حضارَةٍ بِدائِيَّة. فخرجَ النَّاسُ من بينِ الأدغالِ ليتفرَّجُوا مُندَهِشينَ، لأنَّهُم كانُوا يعتَقِدُونَ أنَّ أفضَلَ طريقَةٍ للحفاظِ على حياتِهم هي بالخُلُودِ للرَّاحَةِ أطوَلَ وقتٍ مُمكِن. كانَ تفكيرُهُم يَقُولُ أنَّهُم كُلَّما عَمِلُوا بِجُهدٍ أكبَر وأحرَقُوا طاقَةً أكثَر، كُلَّما تسارَعَ مَوتُهُم، لأنَّهُم يُنفِقُونَ حياتَهُم بإحراقِهِم الطَّاقَة." بالطَّبعِ نحنُ نعرِفُ أنَّ العكسَ هُوَ الصَّحيح. فإذا جَلَسنا بِكَسَلٍ وإستسلَمنا للرَّاحَةِ طوالَ الوقت، فسَوفَ نُقَصِّرُ حياتَنا بِشَكلٍ مأساوِيّ. رُغمَ أنَّ يسُوعَ كانَ يُطَبِّقُ تعليمَهُ على مُستَوىً أعمَق، ولكنَّ تعليمَهُ يَصُحُّ على المُستَوى الجَسَديّ أيضاً. فعَلَينا أن نستَهلِكَ حياتَنا حرفِيّاً بالتَّمارِين الرِّياضِيَّة، وإلا لخَسِرنا حياتَنا.

لا يُمكِنُنا أن نُخَلِّصَ حياتَنا، ولكنَّ يسُوعَ يُعَلِّمُ أنَّهُ تُوجَدُ أُمُورٌ مُعَيَّنَة يُمكِنُنا أن نعمَلَها بِحياتِنا. إذ لَدَينا سَيطَرَة محدُودَة على كَيفِيَّةِ خُرُوجِ الرَّملِ منَ زُجاجِ السَّاعَة، أو على كيفيَّةِ قضاءِ أيَّامِ حياتِنا. مثلاً، بإمكانِنا أن نجعَلَ الرَّملَ يستَمِرُّ بالإنسيابِ حتَّى لا تبقى ولا حبَّة رمل واحِدَة في السَّاعَةِ الزُّجاجِيَّة. وبإمكانِنا أن نحيا سَبعِينَ سنَةً وأن لا نُفَكِّرَ بتاتاً بالقَصدِ الذي نعيشُ حياتَنا من أجلِهِ.

نقرَأُ في العَهدِ القَديم: "لأنَّهُ لا بُدَّ أن نَمُوتَ ونَكُونَ كالماءِ المُهراقِ على الأرض الذي لا يُجمَعُ أيضاً." (٢صَمُوئيل ١٤: ١٤). إن كُنَّا لا نُفَكِّرُ بالقَصدِ من حياتِنا إلى أن نُصبِحَ في الخامِسَةِ والثَّمانِين منَ العُمر، نَكُونُ قد أَضَعنا حياتَنا سُدَىً. نحنُ مخلوقاتٌ ذات خيار، وهذا خيارٌ بإمكانِنا أن نتَّخِذَهُ. فبإمكانِنا أن نُبَدِّدَ حياتَنا كالماءِ المُهراقِ على الأرض الذي لا يُمكِنُ جَمعُهُ أيضاً.

وبإمكانِنا أيضاً أن نقتَرِفَ خَطِيَّةَ عِيسُو، وأن نبيعَ بُكُورِيَّتَنا بأكلَةٍ منَ العَدَس (تكوين ٢٥: ٢٩- ٣٤). أشخاصٌ كَثيرُونَ يُراهِنُونَ على حياتِنا. بإمكانِنا أن نَبيعَ حياتَنا للذي يدفَعُ الثَّمَنَ الأعلى في المزادِ العَلَنِيّ، أو لأيِّ شَخصٍ يدفَعُ أُجرَتَنا. يَسُوعُ يُحَذِّرُنا بأن لا نبيعَ بُكُورِيَّتَنا: "لأنَّهُ ماذا ينتَفِعُ

الإنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ؟ أو ماذا يُعطِي الإنسانُ فِداءً عن نفسِهِ؟" تستخدِمُ بعضُ التَّرجمات كلمة "ذات" بدَل "نفس." وهكذا تُصبحُ التَّرجمَةُ، "لأنَّهُ ماذا ينتَفِعُ الإنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ ذاتَهُ أو هُوِيَّتَهُ الحقيقيَّة؟ وماذا يُمكِنُهُ أن يُعطِيَ مُقابِلَ إستردادِ ذاتِهِ التي خَسِرَها؟" (مرقُس ٨: ٣٥- ٣٧) نَجِدُ سُؤالَين هُنا: "ماذا ينتَفِعُ الإنسانُ لو أعطاهُ أحدٌ ما صُكُوكَ مُلكيَّةِ كُلِّ عقاراتِ الأرض، وكُلّ مال العالم، إن كانَ بِبَساطَةٍ سيخسَرُ نفسَهُ؟" و، "بماذا يُمكِنُ أن يُبادِلَ الإنسانُ نفسَهُ؟" هذان السُّؤالانِ هُما في غايَةِ الأهمِّيَّة.

يُعَرِّفُ القامُوسُ "نفس" كالتَّالِي: "الشَّخصِيَّة الفَردِيَّة، أي فرادَة أي شَخص التي تجعَلُ منهُ مُمَيَّزاً عن كُلِّ كائِنٍ بَشَرِيٍّ آخَر." بِكَلِماتٍ أُخرى، اللهُ يُريدُكَ أن تَكُونَ شَخصِيَّةً فَريدَةً فَذَّة، ويُعَلِّمُ يسُوعُ أنَّكَ ستَكُونُ غَبِيّاً لو ضَحَّيتَ بهذه الهُوِيَّة الشَّخصِيَّة الفَريدة وبعتَ نفسَكَ لتربحَ العالَمَ بأسرِهِ.

السُّؤالُ الثَّانِي هُو أكثَرُ فحصاً منَ الأوَّل. "أو ماذا يُعطِي الإنسانُ فداءً عن نفسِهِ؟" بكلماتٍ أُخرى، مُقابِلَ ماذا يُمكِنُ أن يَبيعَ الإنسانُ نفسَهُ؟ الجوابُ الكتابِيُّ كانَ فيما يتعلَّقُ بِعِيسُو: من أجلِ أكلَةِ عَدَس." لم يَعرِفْ عِيسُو قيمَةَ نفسِهِ، فباعَها رَخيصَةً جداً.

لقد قدَّمَ لنا يسُوعُ نَمُوذجاً عندما مضَى إلى الصَّليب. فهُوَ لم يُقدِّمْ نفسَهُ فقط ذَبيحَةً تستطيعُ أن تُحقِّقَ الخلاص لكَ ولي. فهذا هُوَ قَلبُ إنجيل يسُوع المسيح، ورِسالَةُ العهدِ الجديد ولاهُوتُهُ. ولكن بالإضافَةِ إلى الخلاص المُؤَسَّس على صَليب المسيح، هُناكَ فَلسَفَةُ حياةٍ تمَّ تعليمُها وتمثِيلُها في مُواجَهَةِ يسُوع للصَّليب. فلقد أظهَرَ لنا كيفَ نتَّخِذُ الخَياراتِ الصَّحيحة عن كيفَ "ينبَغي أن يخرُجَ الرَّملُ من الساعَةِ الزُّجاجِيَّة" التي هي حياتُنا. لقد كانَ يسُوعُ يُعَلِّمُنا أن نُضَحِّيَ بحياتِنا، عندما قالَ لنا أنَّنا لن نتمكَّنَ من أن نَكُونَ مُثمِرينَ إن لم نُزرَعْ في التُّراب.

خُلاصَة

تعليمُ يسُوع الواضِح هو أنَّكَ لا تقدِرُ أن تُخَلِّصَ نفسَكَ. بإمكانِكَ أن تُتلِفَها، أو أن تبيعَها، أو أن تُضَحِّيَ بها من أجلِ أهدافٍ مغلُوطة، وبإمكانِكَ أيضاً أن تُضَحِّيَ بها لأجلِ أهدافٍ صحيحة – أي لأجلِ اللهِ ولأجلِ الهدَف

الذي يُريدُكَ اللهُ أن تحيا حياتَكَ لأجلِه. هذا هُوَ المثالُ الذي قدَّمَهُ يسُوعُ عندما واجَهَ الصَّليبَ الذي جاءَ لأجلِهِ إلى العالم.

نقرَأُ أنَّهُ عندما أتَتْ ساعَتُهُ البالِغة الأهمِّيَّة، إضطَرَبَ جدَّاً. هذه الكلمة "إضطَّرَبَ" مُثِيرَةٌ للإهتِمام. لقدِ إستُخدِمَتْ في الإصحاحِ الحادِي عَشَر عندَ قَبرِ لِعازار. فعندما رأى يسُوعُ مريمَ واليَهُودَ يبكُون، نقرأُ أنَّهُ، "إنزَعَجَ بالرُّوحِ وإضطَّرَب." يُشِيرُ هذا بالحقيقَةِ إلى "الغَضَب البارّ أو الغَضَب المُقدَّس." فأمامَ قبرِ لِعازار وقفَ يسُوعُ وجهاً لِوَجهٍ معَ أسوأِ عاقِبَتَين للخَطيَّة – المَرَض والمَوت. لقد كانَ غاضِباً بِسَبَبِ سُلطانِ الخَطيَّةِ وإبليس، الذي كانَ يُحَدِّقُ بهِ بِوقاحَةٍ أمامَ قَبرِ لِعازار. وهكذا كانَ يسُوعُ عندَها غاضِباً من كُلِّ سُلطاتِ الجحيم التي كانت تُحارِبُهُ وتُحاوِلُ أن تعيقَهُ عنِ الذَّهابِ إلى الصَّليب.

تُخبِرُنا تَجرِبَةُ يسُوع كما جاءَت مُدَوَّنَةً في بِدايَاتِ إنجيل متَّى، مرقُس ولُوقا، أنَّ إبليس تَرَكَهُ إلى حِينٍ في نهايَةِ التَّجرِبَة. (متَّى ٤، مرقُس ١، لُوقا ٤). فلقد تابَعَ إبليسُ بتجرِبَتِهِ وبِمُقاوَمَتِهِ، وُصُولاً إلى الصَّليب. لقد كانَ يقِفُ وجهاً لِوَجهٍ معَ كُلِّ قُوَّاتِ الجحيم عندما إتَّخَذَ القَرار بأن يدعَ حياتَهُ تسقُطُ إلى الأرضِ كحبَّةِ حِنطَةٍ لتَمُوت، لكي تأتِيَ بِثَمرٍ كثير. يُعتَبَرُ هذا أكثَرَ وصفٍ دراماتِيكيّ في أناجيلِ رَبِّنا يسُوع المسيح، وهُوَ يتَّخِذُ خيارَ التَّضحِيَةِ بِنَفسِهِ لأجلِ مشيئَةِ الآب، التي هي خلاص العالم.

نقرأُ أنَّ نفسَهُ إضطَّرَبَت جدَّاً، وخلالَ الصَّلاة سألَ قائِلاً، "ماذا أقُول؟ أيُّها الآب، نَجِّني من هذه السَّاعَة؟ ولكنِّي من أجلِ هذا أتَيتُ إلى هذا العالم. أيُّها الآب، مَجِّدِ إسمَكَ." (يُوحَنَّا ١٢: ٢٧، ٢٨).

عندما كانَ يَسُوعُ مُعَلَّقاً على الصَّليب، سَخِرَ منهُ أعداؤُهُ قائِلين، "خَلَّصَ آخرين، أمَّا نفسُهُ فما يستَطيعُ أن يُخَلِّصَها." (متَّى ٢٧: ٤٢). ولقد كانَ هذا القَولُ صَحيحاً، لأنَّهُ ليسَ بالإمكانِ أن تُخَلِّصَ الآخرين وأن تُخَلِّصَ نفسَكَ في الوقتِ ذاتِه. عليكَ أن تختارَ واحِداً منَ الخَيارَين. فإمَّا أن تختارَ أن تُخَلِّصَ الآخرين، وإمَّا أن تختارَ أن تُخَلِّصَ نفسَكَ. عندما إتَّخَذَ يسُوعُ خيارَ تخليصِ الآخرين، قامَ بهذا الخَيار بطريقَةٍ جميلة. نقرَأُ أنَّهُ صَلَّى هذه الصلاة العظيمة: "أيُّها الآبُ، مَجِّد إسمَكَ!" فجاءَ هذا الجوابُ

الرَّائِع منَ السَّماء: "مَجَّدتُ وأُمَجِّدُ أيضاً." (يُو ١٢: ٢٨) يا لِهذه اللَّحظة الرَّائِعة من حياة يسُوع المسيح.

ما هُوَ القَصدُ منَ الحياة؟ القَصدُ منَ الحَياةِ هُوَ تمجيدُ الله. ولكن كيفَ نُمَجِّدُ الله؟ عندَما قَضَى يسُوعُ ساعاتِهِ الأخيرة معَ الرُّسُل، وكانَ على وَشَكِ أن يتِمَّ إلقاءُ القَبضِ عليهِ وأخذِهِ للصَّلب، صلَّى صلاةً رائِعة (يُوحَنَّا ١٧). ولقد لَخَّصَ حياتَهُ التي إمتَدَّتْ عبرَ ثلاثٍ وثلاثِينَ سنَةً بِهذه الكلماتِ الجميلة، "أيُّها الآبُ، أنا مجَّدتُكَ على الأرض. العَملُ الذي أعطَيتَني لأعمَلَ قد أكمَلتُهُ." (يُوحَنَّا ١٧: ٤) عندما صَلَّى يسُوعُ هذه الصَّلاة، أظهَرَ لنا كيفَ نُمَجِّدُ الله.

قالَ الكاتِبُ والرَّاعي الأميركيّ التَّقِيّ، A. W. Tozer، قالَ أنَّنا ينبَغي أن نُصَلِّيَ هذه الصَّلاة: "أيُّها الآبُ، مَجِّدْ نفسَكَ وأرسِلْ لي الفاتُورة – فأنا مُستَعِدٌّ لِدَفعِ أيِّ ثَمَن – ولكن فقط مَجِّدْ نفسَكَ!" هذا هُوَ قَلبُ ورُوحُ الصَّلاة التي صَلاها يسُوع هُنا، عندما قَبِلَ من اللهِ الآبِ مُهِمَّةَ المَوتِ على الصَّليب. التَّجاوُبُ معَ هذه الصَّلاة من أبيهِ السَّماوِيّ كان: "لقد سبقَ وتمجَّدتُ من خلالِ حياتِكَ على الأرض، وسوفَ أتمجَّدُ أيضاً!"

تأمَّلُوا كيفَ تمجَّدَ الآبُ تِباعاً من خلالِ حياة يسُوع الكامِلة. وبينما كانَ يُواجِهُ الصَّليب، عندما صَلَّى، "أيُّها الآبُ، مَجِّد إسمَكَ،" وأخذَ ذلكَ الجوابَ الرَّائِع منَ السماء، أظهَرَ لنا كيفَ ينبَغي أن نُواجِهَ الأزماتِ الرَّهيبَة التي تعتَرِضُ سَبيلَنا في حَياتِنا.

أتساءَلُ ما إذا كانَ بإمكانِكَ أن تُصَلِّيَ بِصدقٍ هذه الصلاة. فنحنُ جميعاً نهتَمُّ قبلَ كُلِّ شَيءٍ بأنفُسِنا. الأنانِيَّةُ هي تعريفُ وجَوهَرُ ما يُسمِّيهِ الكتابُ المُقدَّسُ بالخَطيَّة. والكِتابُ المُقدَّس يُعَلِّمُنا أنَّنا لم نُخلَقْ لنَكُونَ أَنانِيِّين ولا لِتَتمحوَرَ حياتُنا حولَ ذواتِنا، بل خلقنا اللهُ ليَكُونَ هُوَ مَركَزَ حياتِنا. ولم يخلُقْنا اللهُ لنعمَلَ مَشيئَتنا. لقد خَلَقَنا مُؤَهَّلِينَ أن نختارَ ما بَينَ مَشيئَتِنا أو مَشيئَة الله. وعلى مِثالِ يسُوع، خُلِقنا لنختارَ أن نعمَلَ مَشيئَةَ الآب. فنحنُ لم نُخلَقْ لِنُمَجِّدَ أَنفُسَنا، ولا لِنَعمَلَ مشيئَتَنا، بل لِنُمَجِّدَ الآبَ بعملِ مشيئَتِهِ.

لقد عاشَ يسُوعُ كُلَّ ما علَّمَنا إيَّاهُ في هذا المقطع. فهُوَ يَقُولُ لنا: "سوفَ أَدَعُ حَياتي تقَعُ في الأرضِ وتَمُوت مثلَ بِذارِ الزَّرع، لكَي تأتِيَ بِثَمَر." بعدَ أن صَرَحَ بهذا بِنَفسِهِ، لاحِظُوا أنَّهُ يَربِطُ مبدَأَ المَوتِ والقِيامَةِ

الشَّخصِيَّين بي وبِكَ عندما يَقُولُ: "إن كانَ أحدٌ يَخدِمُني فليَتبَعنِي." (يُوحَنَّا ١٢: ٢٦)

إنَّ ما يَقصُدُهُ بِوُضُوحٍ هُوَ القَول، "إنَّ تلاميذِي الحَقيقيِّين سيَعيشُونَ برُوحِ ما أَعمَلُهُ وأُعلِّمُهُ هُنا، إن كانُوا يتبَعُونَني بِحَقّ." جَوهَرُ الوعد الذي قطعَهُ لأُولئكَ الذين فَهِمُوا وطبَّقُوا تعليمَهُ هذا، كانَ: "إن فَهِمتُم حقيقَةَ إضاعَةَ حياتِكُم لتَجِدُوها، يُكرِمْكُمُ الآبُ."

عندما كُنتُ ولداً صَغيراً، أتَذَكَّرُ أنَّني سألتُ والِدَتي التَّقِيَّة، والتي أنجَبَت أحدَ عشرَ ولداً، سألتُها قائِلاً، "لو تَسَنَّى لكِ أن تُعيدِي الكَرَّةَ، هل كُنتِ ستُنجِبِينَ هذا العدد الكبير منَ الأطفال؟" أذكُرُ أنَّها أجابَت بالقَول: "نعم، كُنتُ سأُنجِبُ هذا العدد الكَبير منَ الأولاد. ولكن قبلَ إتِّخاذِ هذا الإلتِزام كُنتُ سأُقرِّرُ أيضاً أن أتخلَّى عن حياتِي الشَّخصِيَّة."

هُناكَ الملايينُ منَ النَّاس في الحَضارَةِ الأميركيَّة اليوم، الذين ستَكُونُ رَدَّةُ فعلِهِم على إلتزامِ والِدَتي هذا، بالقَول: "إنسِ هذه الفِكرة. فَلَدَيكِ حَقٌّ لتَعيشِي حياتَكِ." هُناكَ تعبيرٌ شَعبِيٌّ شائِعٌ جدَّاً في أميركا اليوم، ألا وهُوَ، "عِشْ حياتَكَ!" تقولُ الفَلسَفَةُ الإنسانِيَّةُ العِلمانِيَّة، "أنتَ هُوَ مركَزُ كَونِكَ الشَّخصِيّ المُطلَق. والأمرُ المُطلَق الوحيد في حياتِكَ، هُوَ ما تُريدُهُ أنتَ، وما يتوجَّبُ عليكَ أن تعمَلَهُ لتحصَلَ على ما تُريدُ." هذا هُوَ نَقيضُ ما علَّمَهُ يسُوعُ بواسِطَةِ الكلامِ والعَمل. فلقد علَّمَ يسُوعُ قائِلاً: "ليسَ لأحَدٍ حُبٌّ أعظَمُ من هذا، أن يضَعَ الإنسانُ نفسَهُ من أجلِ أحِبَّائِهِ." (يُوحَنَّا ١٥: ١٣).

في الإصحاحِ الحادِي عَشَر، بعدَ أن صَلَّى قَبلَ إقامَةِ لِعازار منَ المَوت، أشارَ يسُوعُ إلى أنَّ صَلاتَهُ لم تَكُنْ بِسَبَبِ كَونِ الآب إحتاجَ أن يسمَعَها، بل كانت لِمَنفَعَةِ أُولئِكَ البَشَر الذين سَمِعُوها. ولقد علَّقَ يسُوعُ على الصَّوتِ الذي ظَنَّهُ النَّاسُ أنَّهُ رَعدٌ منَ السَّماءِ، أو ملاكٌ يُكَلِّمُهُ، علَّقَ يسُوعُ قائِلاً: "لَيسَ من أجلِي صارَ هذا الصَّوتُ بَل من أجلِكُم." أي أنَّ الآبَ تكلَّمَ بهذه الكلمات ليسَ لأجلِي أنا، بل لأجلِكُم أنتُم. (يُوحَنَّا ١٢: ٣٠) في هاتَينِ المُناسَبَتَين، يُخبِرُنا يسُوعُ أنَّهُ هُوَ والآب كانا في شَرِكَةٍ كامِلَة. ولأنَّهُ كانَ في إتِّحادٍ معَ الآبِ طوالَ الوقت، عرفَ أفكارَ الآبِ وعرفَ الآبُ أفكارَهُ.

بَعدَ إعلانِهِ أنَّ الصَّوتَ لم يَكُنْ لمَنفَعَتِهِ هُوَ، أعطى يسُوعُ تعليماً عظيماً عنِ الدَّينُونَة: "الآنَ دَينُونَةُ هذا العالم. الآنَ يُطرَحُ رَئيسُ هذا العالم

خارِجاً." ها هُوَ الآن يدخُلُ في إصطدامٍ وجهاً لِوجهٍ معَ كُلِّ قُوَّاتِ الجحيم، ومعَ إبليس بالتَّحديد. (يُوحَنَّا ١٢: ٣١).

وكما أشَرتُ سابِقاً، بدَأَتْ تجرِبَةُ يسُوع عندَ بِدايَةِ خدمَةِ يسُوع المسيح، وإستَمَرَّتْ عبرَ سنواتِ خدمَتِهِ الثَّلاث العَلنيَّة. وهكذا كانَ الإنتِصارُ النِّهائِيُّ على إبليس يأخُذُ مجراهُ عندما كانَ يسُوعُ يتواجَهُ معَ الصَّليب. فقدَّمَ هذا التَّصريح في العددين ٣٢ و٣٣ من يُوحَنَّا ١٢: "وأنا إنِ إرتَفَعتُ عنِ الأرض، أجذِبُ إلَيَّ الجَميع. قالَ هذا مُشيراً إلى أيَّةِ ميتَةٍ كانَ مُزمِعاً أن يَمُوت."

في الإصحاحِ الثَّالِث من هذا الإنجيل، يُخبِرُنا يُوحَنَّا كيفَ ذَكَّرَ يسُوعُ نيقُوديمُوس بمُوسى الذي أُمِرَ بأن يرفَعَ الحَيَّةَ النُحَاسِيَّةَ على سارِيَةٍ في وسطِ محلَّةِ بني إسرائيل. وعندما كانَتِ الحيَّاتُ تلدَغُ أفرادَ الشَّعب، كانُوا ينظُرُونَ إلى الحيَّةِ النُّحاسِيَّةِ فيبرَأُونَ من لَسعِ الحيَّاتِ. ولقد ربَطَ يسُوعُ بينَ هذه المُعجِزَة وبينَ مَوتِهِ على الصَّليب، وأشارَ إلى هاتَينِ المُعجِزَتَين بالتَّعبير، "إرتَفعتُ عنِ الأرض." ولكن هُنا، يُضيفُ يسُوعُ وعداً جَميلاً: "وأنا إنِ إرتَفَعتُ عنِ الأرض، أجذِبُ إليَّ الجَميع." فلقد إرتفعَ عنِ الأرضِ وعُلِّقَ على الصَّليب منذُ ألفَي سنة، وملايينُ النَّاسِ نظرُوا إليهِ ونالُوا الخلاص.

أجابَهُ رِجالُ الدِّين: "نحنُ سَمِعنا منَ النَّامُوس أنَّ المسيحَ يبقَى إلى الأبد. فكَيفَ تَقُولُ أنتَ إنَّهُ ينبَغي أن يرتَفِعَ إبنُ الإنسان. من هوَ هذا إبنُ الإنسان؟" (يُوحَنَّا ١٢: ٣٤).

"إبنُ الإنسان" هي عبارَةٌ في الكتابِ المُقدَّس، قد تعنِي أحياناً بِبَساطة "إنسان." ولكن عندما يُشيرُ يسُوعُ إلى نفسِهِ بإبنِ الإنسان، فإنَّ هذه العِبارَة تعني أكثَرَ من ذلكَ. فبِما أنَّنا نحنُ أبناء الله، وهُوَ إبنُ اللهِ الوحيد المَولُود، فإنَّهُ يُعلِنُ نفسَهُ أنَّهُ هُو إبنُ الإنسان.

لَم يَكُنِ اليَهُودُ يُؤمِنُونَ بأنَّ المَسيَّا سيَمُوت. بل توقَّعُوا أن ينتَصِرَ المَسِيَّا ويملِكَ إلى الأبد. إن كانُوا قد عرَفُوا ما تَقُولُهُ أسفارُ العهدِ القَديم بِشَكلٍ أفضَل، لآمنُوا وتوقَّعُوا بأن يرَوا المسيَّا كحمَلِ اللهِ، وكإتمامٍ للذَّبائِح الحَيوانِيَّة التي قُدِّمَت في خيمَةِ الإجتِماعِ في البَرِّيَّة وفي هيكَلِ سُليمان. (خُرُوج ١٢: ٣؛ إشعياء ٥٣: ٧؛ يُوحَنَّا ١: ٢٩).

وفي النِّهايَة، أجابَ يسُوعُ على سُؤالِهم بالقَول، "النُّورُ معَكُم زماناً قَليلاً بعد. فَسِيرُوا ما دامَ لكُمُ النُّورُ لِئلا يُدرِكَكُم الظَّلام." (يُوحَنَّا ١٢: ٣٥) نَجِدُ هُنا تعريفاً رائعاً للإيمان. فالذي نعمَلُهُ حيالَ ما نعلَمُهُ، هُوَ دائماً الطَّريقَةُ الكتابِيَّةُ الأساسيَّةُ للتَّركِيزِ على إيمانِنا. علَّمَ يسُوعُ ما معناهُ: "بدُون نُور، لا خَطيَّة." (يُوحَنَّا ٩: ٤١؛ ١٥: ٢٢). فالتَّعريفُ الأساسيُّ لِلخَطيَّة هُوَ رَفضُ النُّور. يُعَلِّمُ بُولُس أنَّنا إذا عِشنا على أساسِ النُّورِ الذي لدَينا، فاللهُ سيُعطينا المَزيدَ منَ النُّور (فيلبِّي ٣: ١٦). جوابٌ أساسيٌّ آخر على سُؤالِنا عمَّا هُوَ الإيمانُ، هُوَ أنَّ الإيمانَ يسِيرُ دائماً على ضَوءِ ما يُعلِنُهُ اللهُ.

خَوفُ الإنسان وخَوفُ الله

هُناكَ تجاوُبٌ آخَر معَ يسُوع، نراهُ مُسَجَّلاً هُنا ويُرينا ما ليسَ هُوَ الإيمانُ. نقرأُ أنَّ الكثير منَ النَّاسِ آمنُوا، ولكنَّهُم إهتَمُّوا بإرضاءِ الفَرِّيسيِّين أكثَر من إرضاءِ الله. لقد أعطُوا قيمَةً أكبَر لرِضى النَاس ممَّا أعطُوا لِرِضى الله (يُوحَنَّا ١٢: ٤٢ و٤٣؛ ٥: ٤٤).

ثُمَّ نقرَأُ التَّالِي: "فنادَى يسُوعُ وقالَ: الذي يُؤمِنُ بي ليسَ يُؤمِنُ بي بل بالَّذي أرسَلَني. والذي يراني يرى الذي أرسَلَني. أنا قد جِئتُ نُوراً إلى العالم حتَّى كُلُّ من يُؤمِنُ بي لا يمكُثُ في الظُّلمة." (يُوحَنَّا ١٢: ٤٤- ٤٦)

ولقد سبقَ وأخبَرَنا الرَّسُولُ يُوحَنَّا أنَّ يسُوعَ كانَ يَهتِفُ عالِياً في وَعظِهِ. في الإصحاحِ السَّابِع، نقرَأُ أنَّهُ عندما دَعا العطشانِينَ لِيُقبِلُوا إليهِ ويشرَبُوا، نادَى يسُوعُ واعِظاً بِصَوتٍ ديناميكيٍّ، حتَّى أنَّ جُندَ الهَيكل الذين أُرسِلُوا لإلقاءِ القَبضِ عليهِ، لم يَضَعُوا عليهِ يَداً. بل رَجَعُوا قائِلِينَ، "لم يتكلَّمْ إنسانٌ قَطّ مثل هذا الإنسان!" (يُوحَنَّا ١٢: ٤٦)

لا بُدَّ أنَّ يسُوعَ كانَ مُحاوِراً بارِعاً. لقد كانَ رَجُلَ الحِوار معَ رُسُلِهِ، في أُطُرٍ تُشبِهُ الإطارَ الذي فيهِ ألقَى يسُوعُ المَوعِظَةَ على الجَبَل، وموعظَةَ جبل الزَّيتُون، وعظتَهُ في العُلِّيَّة. ولقد كانَ يسُوعُ أيضاً بارِعاً في الحوارِ العَدائِيّ. ولكنَّ يسُوع كانَ أيضاً واعظاً مُقتَدِراً! لهذا يَقُولُ يُوحَنَّا أنَّ يسُوعَ كانَ "يُنادِي" عندما كانَ يعِظ – ليسَ فقط أنَّهُ كانَ يتكلَّمُ ليسمَعَهُ الجَميع، بل لأنَّهُ كانَ يرفَعُ صَوتَهُ ليتكلَّمَ بِسُلطان.

وكما أخبَرَنا يسُوعُ في الإصحاحِ العاشِر، كانَ هُوَ والآب واحِد بشكلٍ مُطلَق (يُوحَنَّا ١٠: ٣٠). في عِظَةِ العُلِّيَّة، والتي سنلتَفِتُ إليها عمَّا

قَريب، سوفَ يَقُولُ يسُوعُ في الحوارِ الذي أجراهُ معَ الرُّسُل في ذلكَ الجَوِّ الحَميم: "الذي رآني فقد رأى الآب." (يُوحَنَّا ١٤: ٩) يا لِهذهِ الكَلِماتِ الرَّائِعة! وهُوَ يَقُولُ الكلماتِ ذاتِها تقريباً في هذا المقطع: "الذي يُؤمِنُ بي، ... عندَما ينظُرُ إليَّ، يرى الذي أرسَلَني."

ثُمَّ يُضيفُ هذه الكلمات: "أنا جِئتُ نُوراً إلى العالَم، حتَّى كُلُّ من يُؤمِنُ بي لا يمكُثُ في الظُّلمة." (يُوحَنَّا ١٢: ٤٦) ثُمَّ يُخبِرُنا عن مجالِ الدَّينُونَة التي قليلاً ما نُفَكِّرُ بها: "وإن سَمِعَ أحدٌ كلامي ولم يُؤمِنْ فأنا لا أَدينُهُ. لأنِّي لم آتِ لأدِينَ العالم بَل لأُخلِّصَ العالَم." هل تَذكُرُونَ هذه الحقيقة عندما تمَّ تعليمُها في الإصحاحِ الثَّالِث؟ فهُوَ لم يُرسَلْ إلى العالم ليَدِينَ العالم، بل ليُخَلِّصَ العالم. (يُوحَنَّا ٣: ١٧)

وهُو يَقُولُ لنا هُنا: "من رَذَلَني ولم يقبَلْ كلامي فلَهُ من يَدينُهُ. الكَلامُ الذي تكَلَّمتُ بهِ هُوَ يَدينُهُ في اليومِ الأخير. لأنِّي لم أتَكَلَّمْ من نَفسِي لأنَّ الآبَ الذي أرسَلَني هُوَ أعطاني وَصِيَّةً ماذا أقُولُ أو بماذا أتكلَّمُ. وأنا أَعلَمُ أنَّ وَصِيَّتَهُ هي حياةٌ أبديَّةٌ." (يُوحَنَّا ١٢: ٤٨- ٥٠)

بِحَسَبِ الإصحاحِ السَّابِع، قدَّمَ يسُوعُ التَّصريحَ العظيم أنَّ تعليمَهُ كانَ تعليمَ الله. في هذا المقطع، يُطَبِّقُ هذا التَّصريح العقائِدِيّ عندما يُعلِنُ أنَّهُ بما أنَّ تعليمَهُ ووعظَهُ هُوَ كلمةُ الله، فإنَّ هذه الكلمة ستدينُنا أنا وأنتَ لأنَّها كَلِمَةُ الله. تطبيقيَّاً، جَوهَرُ ما يَقُولُهُ يسُوعُ هُوَ: "إذا رَفَضتم أو فَشِلتُم في تطبيقِ كلمَةِ اللهِ الآب، ففي الدَّينُونة لن نحتاجَ أنا والله الآب أن ندينَكُم. الكَلِمَةُ التي سمِعتُمُوها هي ستَدينُكُم."

وكما أَشَرتُ سابِقاً، نجدُ هذا المَوضُوع يتكرَّرُ في تعليمِ يسُوع: ماذا نعمَلُ حِيالَ ما نعلَمُ. وكما قالَ في الإصحاحِ التَّاسِع، وكما سيَقُولُ في الإصحاحِ الخامِس عشَر: "بِدُونِ نُور، لا خَطِيَّة." (يُوحَنَّا ٩: ٤١؛ ١٥: ٢٢) ولكنَّ النُّورَ الذي رفضناهُ أو تجاهَلنَاهُ سوفَ يَدينُنا. "أنا لم آتِ لأدينَكُم، ولكن لا تُوجَدُ طريقَةٌ أستَطيعُ من خلالِها المجيءَ والتَّكلُّمَ بكلمةِ اللهِ، بدُونِ أن تَدينُوا أنفُسَكُم عندما ترفُضُونَ أو تتجاهَلُونَ كلامَ اللهِ الآب." بالفِعل، هذا هُوَ رُوحُ ما عَلَّمَهُ يسُوعُ حَولَ الطريقة التي نعرِفُ أنَّنا سنُدانُ بها.

حسناً، من هُوَ يسُوعُ في هذا الإصحاحِ الثَّانِي عَشَرَ من إنجيلِ يُوحَنَّا؟ إنَّهُ ذلكَ الشَّخصُ الذي يُضَحِّي بِنَفسِهِ مُصَلِّياً بما مُؤدَّاهُ، "مَجِّدْ نفسَكَ، أيُّها الآبُ، وأرسِلْ لي الفاتُورَة." وعندما قالَ ذلكَ، أجابَهُ الآبُ: "لقد فعلتُ هذا سابِقاً، وسوفَ أفعَلُهُ مُجَدَّداً." يسُوعُ هُوَ ذلكَ الشَّخصُ الذي يتكلَّمُ بكلمةِ اللهِ الآب بالطريقَةِ التي يُريدُه اللهُ أن يَقُولَها.

وما هُوَ الإيمانُ؟ الإيمانُ هُوَ إدراكُ كَونِكَ تُؤمِنُ لأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ قد أعطاكَ عينَين تريان، وأُذُنين تَسمَعان، وقلباً يفهَم. الإيمانُ يُعطي قيمَةً لِرِضَى الله أكثَر ممَّا يُعطِي لِرِضى الناس. الإيمانُ هُوَ العَيشُ والسُّلوكُ على مُستَوى النُّور الذي قَبِلناهُ منَ الله.

وما هِيَ الحياة؟ الحَياةُ هي ما ينتُجُ عندما تُصبِحُ حياتُكَ مثلَ بِذرَةٍ تسقُطُ في الأرضِ وتَمُوت لكَي تأتِيَ بِثَمَر. الحَياةُ هِيَ الإثمار. الحياةُ هي بِذارُ حياتِكَ التي تأتي بِبُذُورٍ كثيرة. الحياةُ هي الطريقة التي طبَّقَ بها بُولُس الرَّسُول هذا التَّعليم. في رسالَةِ بُولُس إلى الغلاطِيِّين، أخبَرَهُم ثلاثَ مرَّاتٍ أنَّهُ يحيا لأنَّهُ صُلِبَ معَ المسيح (غلاطية ٢: ٢٠).

هذا من هُوَ يسُوع، وما هُوَ الإيمانُ، وما هِيَ الحياة، بِحَسَبِ الإصحاحِ الثَّانِي عَشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا.

الفَصلُ السَّادِس
"الوصِيَّة الجَديدة"
(يُوحَنَّا ١٣: ١- ٣٨)

تُوجَدُ أكثَرُ من خمسمائة وَصِيَّة في الكتابِ المُقدَّس. هذه الوَصايا مُلَخَّصَةٌ في الوَصايا العَشر (خُرُوج ٢٠: ٣- ١٧؛ تَثنِيَة ٥: ٧- ٢١). يُوجَدُ أيضاً ما يُسمِّيهِ الكتابُ المُقدَّس نفسُهُ بالوَصِيَّة الأُولى والعُظمَى. يُخبِرُنا يسُوعُ بأنَّ أعظَمَ الوَصَايا هي محبَةُ اللهِ من كُلِّ كيانِنا، ويُلَخِّصُ الوصايا العَشر بوَصِيَّتَين، عندما يُخبِرُنا بأنَّ الوَصِيَّةَ الثَّانِيَة بعدَ الأُولى، هي محبَّة القَريب كَنُفُوسِنا (متَّى ٢٢: ٣٥- ٤٠) الإصحاحُ الذي ننظُرُ إليهِ الآن يُقدِّمُنا إلى وَصِيَّةِ يسُوع الجديدة (يُوحَنَّا ١٣: ٣٤، ٣٥)

إذ نبدَأُ دِراسَتَنا للإصحاحِ الثَّالِث عشَر، نحتاجُ أن نُدرِكَ أنَّنا نقتَرِبُ منَ الطريقة التي بها سَجَّلَ يُوحَنَّا، بِوَحيِ الرُّوحِ القُدُس، أطوَلَ عِظَةٍ

ليسُوع. هذه العِظَة تُعرَفُ بِعِظَةِ العُلِّيَّة. لقد ألقَى يسُوعُ بِضعَ خُطَبٍ، مثل المَوعِظَة على الجَبَل (متَّى ٥- ٧)، مَوعِظَة جَبَل الزَّيتُون (متَّى ٢٤، ٢٥)، ومَوعِظَةِ العُلِّيَّة هذه (يُوحَنَّا ١٣- ١٦) بما أنَّ الإصحاح السَّابِع عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا هُوَ صَلاةُ يسُوع لأَجلِ الرُّسُل – الوَحِيدُونَ الذين سَمِعُوا تلكَ العِظَة في العُلِّيَّة – فهذه الصَّلاة يُمكِنُ تضمينُها داخِل عِظَة العُلِّيَّة.

عندما ندرُسُ عظاتِ يسُوع هذه، نكتَشِفُ أنَّها لم تَكُنْ مُجرَّدِ مُحاضَراتٍ أو عِظات. واحِدَةٌ منها كانت قد بَدَأَت بِحِوار (متَّى ٢٤، ٢٥). عندَما ألقَى يسُوعُ هذه العِظات، طرحَ عمداً أسئِلَةً كانت مَوضُوعَةً أصلاً لإقامَةِ حِوارٍ معَ أُولئكَ الذين سَمِعُوهُ. مثلاً، بينَما ندرُسُ هذا الخُطاب الأطوَل ليَسُوع، عندَما نَصِلُ إلى نهايَةِ الإصحاحِ الثالِث عشَر وبدايَةِ الإصحاح الذي يَليهِ، سوفَ نَجِدُ أنَّ الرُسُلَ طَرَحُوا على يسُوع بِضعَةَ أسئِلَةٍ. وكانَ جوابُهُ على أسئِلَتِهِم يُشَكِّلُ جوهَرَ ما نُسَمِّيهِ بالعِظَة.

بينما نبدَأُ دراسَةَ الإصحاحِ الثَّالِث عشَر، نَجِدُ سَبَباً آخر لدراسَتِنا لهذا القِسم المُهِمّ من إنجيلِ يُوحَنَّا، وهُوَ أنَّ يسُوعَ كانَ قد إختَتَمَ الآنَ ثلاثَ سنين من خدمَةِ الوعظِ، الشِّفاء، التَّعليم، وتدريبِ الرُّسُل.

لقد بدَأَ خدمَتَهُ العَلَنِيَّة معَ ما أُسمِّيهِ بالخُلوَة. إذا كُنتُم قد سَمِعتُم برامِجَنا الإذاعِيَّة، أو قَرأتُم كُتَيِّباتِنا التي تَصِفُ المَوعِظَة على الجَبَل، ستعرِفُون أنَّني أُؤمِنُ بأنَّ هذه العِظَة أُلقِيَت في إطارِ خُلوَةٍ. القَصدُ من هذه الخُلوَة كانَ تجنيدُ تلاميذ وأُولئكَ الذين كَلَّفَهُم يسُوعُ بأن يَكُونُوا رُسُلَهُ أو مُرسَليه. يَصِفُ مرقُس إطارَ هذه العِظة عندما يكتُبُ أنَّ يسُوعَ إختَارَ الإثنَي عَشَر، وعَيَّنَهُم ليَكُونُوا معَهُ، ثُمَّ أرسَلَهُم إلى العالم (مرقُس ٣: ١٣- ١٥). أنا أُسَمِّي هذه العِظَة "بالخُلوَة المَسيحيَّة الأُولى."

هُنا كانَ قد دَرَّبَ هؤُلاء الرُّسُل لِثلاث سنواتٍ، وكانَتِ فترةُ التَّعليم اللاهُوتي قدِ إنتَهَت. قبلَ أن يذهَبَ إلى الصَّليب، آخِرُ أمرٍ عمِلَهُ كانَ أن يعقُدَ خُلوَةً أُخرى معَ هؤُلاء الرِّجال الإثنَي عَشَر. لهذا أُسمِّي هذه العِظَة "الخُلوة المسيحيَّة الأخيرة." هذه الإصحاحات عميقَةٌ جدَّاً، لأنَّها تُسَجِّلُ وَصِيَّةَ يسُوع الأخيرة، بَينَما كانَ يُفَوِّضُ هؤُلاء الرِّجال الذين دَرَّبَهُم لثلاثِ سنوات بالرِّسالَةِ والخِدمَةِ التي إستَودَعَهُ الآبُ إيَّاها.

رُتبَة المَنشَفة (١٣: ١- ١٧؛ ٣٤، ٣٥)

هذه هي الطَّريقة التي بَدَأَ بها يُوحَنَّا بتسجيلِ أطوَلِ عظَةٍ ليَسُوع: "أمَّا يسُوعُ قَبلَ عِيدِ الفِصح، وهُوَ عالِمٌ أنَّ ساعَتَهُ قد جاءَت لِيَنتَقِلَ من هذا العالم إلى الآب، إذ كانَ قد أحَبَّ خاصَّتَهُ الذين في العالم، أحبَّهُم إلى المُنتَهى.

"فحينَ كانَ العَشاءُ وقد ألقَى الشَّيطانُ في قَلبِ يَهُوَّذا سِمعان الإسخَريُوطِيُّ أن يُسَلِّمَهُ. يسُوعُ وهُوَ عالِمٌ أنَّ الآبَ قد دَفَعَ كُلَّ شَيءٍ إلى يَدَيهِ وأنَّهُ من عِندِ اللهِ خَرجَ وإلى اللهِ يَمضِي. قامَ عنِ العَشاءِ وخلَعَ ثِيابَهُ وأخذَ مِنشَفَةً وإتَّزَرَ بها. ثُمَّ صَبَّ ماءً في مِغسَلٍ وإبتدَأَ يَغسِلُ أَرجُلَ التَّلاميذ ويَمسَحُها بالمِنشَفَةِ التي كانَ مُتَّزِراً بها." (يُوحَنَّا ١٣: ١- ٥).

يا لَهذهِ الطريقة الجميلة لبَدءِ خُلوَة. تُخبِرُنا الأناجيلُ الأُخرى أنَّ الرُّسُلَ غالِباً ما كانُوا يتجادَلُونَ عمَّن منهُم سيَكُونُ الأعظَم في الملكُوتِ الذي كانَ يسُوع سيُؤَسِّسُهُ. حتَّى عِندَما كانُوا على طَريقِهِم نحوَ العُلِّيَّة، كانُوا يتجادَلُونَ عمَّن سيَكُونُ الأعظَمَ في المَلَكُوت (متَّى ٢٠: ٢٠- ٢٨؛ لُوقا ٩: ٤٦- ٤٨؛ ٢٢: ٢٤- ٢٧). البَعضُ منهُم آمنُوا بأنَّ المَسِيَّا سيُطيحُ بالسُّلطَةِ الرُّومانِيَّة، وسيُؤَسِّسُ ملكُوتاً على الأرض (أعمال ١: ٦).

المَقطَعُ الذي إقتَبَستُهُ أعلاهُ هُوَ السَّردُ الجَميل الذي أورَدَهُ يُوحَنَّا عن كيفَ تجاوَبَ يسُوعُ معَ مُجادَلَةِ الرُّسُل حولَ من سيَكُونُ الأعظَمَ بينَهُم. فلقد بدَأَ هذه الخُلوَة الأخيرة معَهُم بالقِيامِ بأمرٍ كانَ ينبَغي أن يصدُمَ هؤُلاء الإثنَي عَشَر. خَلَعَ عباءَتَهُ، وأخذَ دَورَ العَبد. في تلكَ الحضارة، كانَتِ العادَةُ أن يَغسِلَ المُضيفُ أرجُلَ الضُّيوفِ الذينَ يأتُونَ لتناوُلِ الطَّعامِ إلى مائِدَتِهِ. ولكن، كانَ العَبيدُ هُمُ الذينَ يَقُومُونَ بغَسلِ أرجُلِ الضُّيُوف. وهكذا كانَ يسُوعُ يأخُذُ دَورَ العبدِ عندما أخذَ وعاءً وبدَأَ بغسلِ أرجُلِ التَّلاميذ.

عندَما نقرَأُ أنَّهُ بدأَ بِغَسلِ أرجُلِهِم، يبدُو أنَّ هذا حَضَّرَنا لحقيقَةِ أنَّ شَيئاً كانَ سيحدُثُ عندما سيَغسِلُ رِجلَي بُطرُس. نقرأُ: "فَجاءَ إلى سِمعان بُطرُس فقالَ لهُ ذاكَ يا سَيِّدُ أنتَ تَغسِلُ رِجلَيَّ؟ أجابَ يسُوعُ وقالَ لهُ لَستَ تعلَمُ أنتَ الآنَ ما أنا أصنَعُ ولكنَّكَ ستَفهَمُ فيما بعد. قالَ لهُ بطرُس لَن تغسِلَ رِجلَيَّ أبداً. أجابَهُ يسُوعُ إن كُنتُ لا أغسِلُكَ فَلَيسَ لكَ مَعي نَصيب. قالَ لهُ سِمعانُ بُطرُس، يا سَيِّد ليسَ رِجلَيَّ فقط بل أيضاً يَدَيَّ ورأسي. قالَ لهُ يسُوع. الذي قدِ إغتَسَلَ ليسَ لهُ حاجَةٌ إلا إلى غَسلِ رِجلَيهِ، بل هُوَ طاهِرٌ

كُلُّهُ. وأنتُم طاهِرُونَ ولكن ليسَ كُلُّكُم. لأنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ. لذلكَ قالَ لَستُم كُلُّكُم طاهِرين." (يُوحَنَّا ١٣: ٦- ١١).

في دِراسَتِنا للإصحاحِ السَّابِق من هذا الإنجيل، عندما غَسَلَت مَريَم رِجلَي يسُوع، تعلَّمنا أنَّ النَّاسَ كانُوا يضطَّجِعُونَ أرضاً على أريكة عندما كانُوا يتناوَلُونَ الطَّعام في تلكَ الأيَّام. تخَيَّلُوا الرُّسُلَ يضطَّجِعُونَ على الأرضِ حولَ مائِدَةٍ معَ يسُوع. تصَوَّرُوا أنَّ بُطرُس هُوَ الرِّسُول الخامِس أو السَّادِس الذي إقتَرَبَ منهُ يسُوع، حامِلاً الوعاءَ والمِنشَفَة. في هذه المرحلة، كانَ بُطرُس قد أصبَحَ تحتَ صَدمَةٍ، لِكَونِ الرَّبِّ يَغسِلُ أرجُلَهُم. لم يَستَطِعْ بُطرُس أن يتحمَّلَ ذلكَ، عندما إقتَرَبَ منهُ يسُوع. فقالَ بُطرُس، "يا سَيِّد، أنتَ تَغسِلُ رِجلَيَّ؟!" فأجابَ الرَّبُّ بُطرُس بطريقَةٍ جَميلَةٍ قائِلاً: "لَستَ تعلَمُ الآنَ ما أنا أصنَعُ، ولكنَّكَ ستفهَمُ فيما بعد."

هل سَبَقَ وغَسَلَ أحدُ المُؤمِنِينَ رِجلَيك؟ لن أنسَى تلكَ الليلة التي فيها غَسَلَ زَعيمُ قَبيلَةٍ بِدائِيَّة قَدمَيَّ، وكانَ قد إختَبرَ التَّجديد والإيمان بِيَسُوع. فعِندَما غَسَلَ رِجلَيَّ، شَعرتُ تماماً كما شَعَرَ بُطرُس. لقد شعرتُ بالهَلَع. ووجدتُ نفسي أقُولُ الكلماتِ ذاتِها التي قالَها بُطرُس: "أنتَ تَغسِلُ رِجلَيَّ؟ فإبتَسَمَ وقالَ بالإنكليزيَّةِ التي عرَفَها: "تماماً مثل بُطرُس!"

لقد كانَ بُطرُس صادِقاً عندما عبَّرَ عن مشاعِرِهِ. سبقتُ وسألتُكَ إن كانَ أحدُ المُؤمنينَ قد غَسَلَ رجلَيك. ينبَغي طَرحُ السُّؤالَ بطريقَةٍ أُخرى: كَيفَ ستَشعُرُ لو تمَّ غَسلُ رجلَيكَ من قِبَلِ يسُوع المسيح، رَبّ الأرباب، خالِق الكَون وخالِق قَدَمَيكَ؟ هل بإمكانِكَ أن تضعَ نفسَكَ مكانَ بُطرُس، وأن تتَصَوَّرَ كيفَ شَعَرَ عندما غسلَ يسُوعُ قدَمَيه؟

العددُ الذي يُعَبِّرُ عن تجاوُبِ يسُوع معَ بُطرُس هُوَ عددٌ جميلٌ جِدَّاً: "لَستَ تعلَمُ الآنَ ما أنا أصنَعُ، ولكنَّكَ ستفهَمُ فيما بعد." (يُوحَنَّا ١٣: ٧) وجدتُ هذه الكلمات مُناسِبَةً جدَّاً، عندما أقِفُ أمامَ قَبرٍ معَ مُؤمنينَ فقدُوا أعِزَّاءَ على قُلُوبِهم. مرَّتْ أوقاتٌ كانَت فيها هذه الكلماتُ هي الوحيدة التي يُمكِنُ أن تَكُونَ مُناسِبَةً للمُؤمنينَ الذين إختَبَرُوا إحدى مآسي الحياة التي لا نفهَمُها.

ينبَغي أن أُشارِكَ معَكُم على الأقَل حالَةً واحِدةً من هذه المآسي التي أقصُدُها. منذُ عدَّةِ سنواتٍ، تعرَّفتُ على زَوجَين كانَا يُخَطِّطانِ للإلتِحاقِ

بِكُلِّيَّةِ لاهُوت. وبينما كانَتِ الزَّوجَة بإنتِظارِ رُجُوعِ زَوجها منَ خدمَتِهِ البَحريَّة على سَفينَةٍ حَربِيَّة، حدَثَ لها ولزوجَةِ شابٍّ آخر منَ البَحريَّةِ أيضاً، حدَثَ لِهاتَينِ الزَّوجَتَينِ حادِثُ سَيَّارَةٍ مُرَوِّع. فإحتَرَقَتِ الزَّوجتانِ وإنفَجَرَتِ السيَّارَةُ من النِّيرانِ التي إلتَهَمَتْها.

العائِلاتُ التي كانت تعيشُ في ولايَةٍ أُخرى، طلَبتْ منِّي ليسَ فقط أن أقُومَ بخدمَةِ الجنازَةِ لهاتَينِ الزَّوجَتَين، بل أيضاً بأن أقضِيَ يوماً إضافِيَّاً معَهم، وأن أُخبِرَهُم لماذا سمحَ الرَّبُّ لهكذا مأساة أن تحدُث. وكما هي الحالُ دائماً، جاءَتْ ساعَةُ الحقيقَةِ أمامَ القَبر. بينما كُنتُ أطلُبُ منَ اللهِ أن يُعطِيَني كَلِمَةَ تَعزِيَةٍ لهذه العائِلاتِ المَنكُوبَة بهذه المأساة، الكلمَةُ الوحيدَةُ التي بدَت مُناسِبَةً لي آنذاك، هي ما قالَهُ يسُوعُ لِبُطرُس: "لَستَ تعلَمُ الآنَ ما أنا أصنَعُ، ولكنَّكَ ستفهَمُ فيما بعد." (يُوحَنَّا ١٣: ٧)

في هذه الحياة، غالِباً ما يغِيبُ عن بالِنا ما يعمَلُهُ اللهُ. ولكنِّي أُؤمِنُ من كُلِّ قَلبِي أنَّهُ يوماً ما، عندما نعرِفُ كما عُرِفنا، سنَنالُ جواباً على أسئِلَتِنا الكَثيرة (١كورنثُوس ١٣: ١٢). وإلى ذلكَ اليَوم، سَتَكُونُ كلماتُ يسُوع المَذكُورَة أعلاه مصدَرَ تعزِيَةٍ للكثيرين.

بِمعنَىً ما، لم يُقَاطِع أحدٌ يسُوع، بل توقَّرَت لهُ فُرَصٌ لأنَّهُ دائماً كانَ يُحَوِّلُ مُقاطَعات الكلام إلى فُرص مُتاحَة. وبينما يبدُو أنَّ بُطرُس كانَ يقاطِعُ يسُوع، نرى بِبَساطَة يسُوعَ يتمتَّعُ بفُرصَةٍ بأن يُعَلِّمَ شَيئاً. عندما أجابَ يسُوعُ بُطرُس، بالإضافَةِ إلى طَلَبِهِ من بُطرُس أن ينتَظِرَ إلى أن ينتَهِيَ يسُوعُ من غَسلِ رِجلَيهِ، أعطى يسُوعُ لِبُطرُس تعليماً عظيماً آخر. عندما طَلَبَ بُطرُس من يسُوع أن يغسِلَهُ كُلَّهُ، أخبَرَ يسُوعُ بُطرُسَ أنَّهُ لن يحتاجَ إلى الإغتِسالِ بكامِلِهِ ثانِيَةً. بل يحتاجُ فقط إلى غَسلِ رِجلَيهِ.

في تلكَ الأيَّام، كانَ النَّاسُ يذهَبُونَ للإستِحمامِ في الحمَّامَاتِ العامَّة. وعندما كانُوا يسيرُونَ رُجُوعاً إلى منازِلِهم بعدَ إنتِهائِهِم منَ الإستِحمام، كانَ الغُبارُ يلتَصِقُ بأقدامِهِم الرَّطِبَة. فعندما كانُوا يَصلُونَ إلى البَيت، أو إلى منزِلِ صَديقٍ لهُم حيثُ كانُوا مَدعُوُّونَ إلى الغداءِ مَثَلاً، لم يكُونُوا بحاجَةٍ إلى الإستِحمامِ ثانِيَةً، بل إلى مُجَرَّدِ غَسلِ أرجُلِهما مُجدَّداً.

الإستِحمامُ في هذه الصُّورَة المجازِيَّة يُشيرُ إلى الولادَةِ الثَّانِيَة – أي التَّجديد. عندما نُؤمِنُ بالمسيح لأجلِ الخلاص، ونُولَدُ ثانِيَةً، تُغسَلُ خطايانا

ونتطَهَّرُ تماماً. بكلماتٍ أُخرى، وكأنَّنا إستَحمَمنا. ولكن بينما نَسيرُ في بَرِّيَّةِ هذا العالم، تتَّسِخُ أقدامُنا. وعندما تُصبِحُ أقدامُنا مُتَّسِخَةً، لن نحتاجَ أن نتجدَّدَ ثانيَةً، مراراً وتكراراً، أو أن نستَحِمَّ مُجدَّداً بالولادَةِ الثَّانِيَة، بل نحتاجُ إلى مُجَرَّدِ غسلِ أرجُلِنا بإستِمرار.

لِهذا أسَّسَ الرَّبُّ مائِدَةَ العشاءِ الرَّبَّانِيّ، أو الإشتِراك، كما يُسمِّيهِ البَعضُ. فهُوَ يعلَمُ أنَّنا سنحتاجُ دَورِيّاً لأن نتذَكَّرَ بأن نغسِلَ أقدامَنا. فعندما نُخطِئُ، نحتاجُ أن نعتَرِفَ بِخطايانا، واثِقينَ بأنَّهُ سيغفِرُ خطايانا ويُطَهِّرَنا من كُلِّ إثم (١يُوحَنَّا ١: ٧- ٩). ولكن عندَما يحدُثُ هذا، لا نَكُونُ نختَبِرُ الولادَةَ الثَّانِيَة. بل كُلُّ ما نحتاجُهُ هُوَ غسلُ أرجُلِنا، أي التَّوبَة عن الخطايا العَرَضِيَّة التي تُعكِّرُ حياتَنا، لأنَّ جسَدَنا أصبَحَ كُلُّهُ نظيفاً بالتَّجديد.

ثُمَّ نقرَأُ أنَّهُ يَقُولُ: "وأنتُم طاهِرُونَ ولكن ليسَ كُلُّكُم. لأنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ." (يُوحَنَّا ١٣: ١٠- ١١) وسيَكُونُ لديهِ المَزيدُ ليَقُولَهُ عنِ الذي سيُسَلِّمُهُ. ولكن، كم تمتَّعَ بُطرُس وباقي الرُّسل عندما سَمِعُوا كلماتِ يسُوع القائلَة ما معناهُ: "أنتُم طاهِرُون. لأنَّكُم إستَحمَمْتُم. ولا تحتاجُونَ إلا إلى غَسلِ أرجُلِكُم من وَقتٍ لآخَر."

ثُمَّ تُتابِعُ القِصَّةُ كالتَّالِي: "فَلمَّا كانَ قد غَسَلَ أرجُلَهُم وأخذَ ثيابَهُ وإتَّكَأَ، قالَ لهُم أتَفهَمُونَ ما قد صَنَعتُ بكُم. أنتُم تَدعُوني مُعَلِّماً وسَيِّداً وحَسَناً تَقُولُونَ، لأنِّي أنا كذلكَ. فإن كُنتُ وأنا السَّيِّدُ والمُعَلِّمُ قد غَسَلتُ أرجُلَكُم، فأنتُم يجِبُ عليكُم أن يَغسِلَ بعضُكُم أرجُلَ بَعض. لأنِّي أعطَيتُكُم مِثالاً حتَّى كما صَنعتُ أنا بِكُم تصنَعُونَ أنتُم أيضاً. الحقَّ الحقَّ أقُولُ لكُم إنَّهُ ليسَ عَبدٌ أعظَمَ من سَيِّدِهِ، ولا رَسُولٌ أعظَمَ من مُرسِلِهِ. إن عَلِمتُم هذا، فطُوباكُم إن عَمِلتُمُوهُ." (يُوحَنَّا ١٣: ١٢- ١٧)

عندما إنتَهَى من عِظَتِهِ المُوحَى بها منَ الله، والتي هي جوابٌ على مُقاطَعَتِهِ – أي التَّعليم الرَّائِع الذي شارَكَهُ معَ بُطرُس – سأَلَ قائلاً، "أتَفهَمونَ ما صَنعتُ بِكُم؟" يا لِهذا السُّؤال! فماذا كانَ قد صنعَ بهِم؟ منَ الواضِحِ أنَّهُ كانَ قد غَسَلَ أرجُلَهُم، وأعطاهُم مِثالاً عنِ التَّواضُع وخدمَةِ بعضِهِم البَعض، بِشَكلٍ لن ينسَوهُ أبداً. ثُمَّ عَلَّقَ قائِلاً، "لأنِّي أعطَيتُكُم مِثالاً، حتَّى كما صَنَعتُ أنا بِكُم تصنَعُونَ أنتُم أيضاً." (يُوحَنَّا ١٣: ١٥)

لقد أظهَرَ لنا الرَّسُول بُولُس كيفَ نُطَبِّقُ هذا التَّعليم عندما حضَّ كنيسة فيلبِّي أن يَكُونَ لها فِكرُ المسيح، وأن يخدِمَ المُؤمِنُونَ فيها بعضُهُم بعضاً بِمحبَّة (فيلبِّي ٢: ١- ٥). التَّطبيقُ الشَّخصِيّ والتعبُّدِيّ للطَّريقَةِ التي بدأَ بها يسُوعُ هذه الخُلوَة هي بأن نسألَ الرَّبَّ يَومِيَّاً، "كيفَ أستطيعُ أن أخدُمَكَ يا رَبّ؟" أفضَلُ طريقَةٍ لتطبيقِ هذا العملِ الرَّمزِيّ الذي بدَأَ بهِ يسُوعُ هذه العِظة، هي بأن نسألَ جميعَ الذين نعاشِرُهُم: "كيفَ أستَطيعُ خدمَتك؟"

لَرُبَّما تُوجَدُ طريقَةٌ أفضَل لطرحِ هذينِ السُّؤالَين، هي بأن نسأَلَ الرَّبَّ وأُولئكَ الذينَ نحنُ على علاقَةٍ معَهُم، "كيفَ أستطيعُ أن أُحِبَّكَ؟" رُغمَ أنَّ الأمرَ لم يَكُنْ واضِحاً تماماً، إلى أنَّ يسُوعَ عمِلَ شَيئاً آخر من أجلِ الرُّسُل عندما غسلَ أرجُلَهُم. ما هُوَ الذي صنَعَهُ من أجلِهِم؟ سُؤالُهُ تمَّتِ الإجابَةُ عليهِ في العددِ الأوَّل. تَرجَمَتي المُفَضَّلَة هي كالتَّالِي: "بعدَ أن أحَبَّ خاصَّتَهُ الذين في العالم، أظهَرَ لهُم الآن أقصَى مدَى لمحبَّتِهِ لهُم."

فعندَما غسَلَ أرجُلَهُم، أحبَّهُم. فمنذُ أن إلتَقَى بهؤُلاء الرِّجال، أحبَّهُم جميعاً. أحَبَّهُم بِطَريقَةٍ لم يُحَبُّوا بها قَطعاً من قبل. يُشيرُ يُوحَنَّا إلى نفسِهِ بضعَ مرَّاتٍ في هذا الإنجيل بأنَّهُ التِّلميذ الذي أحَبَّهُ يسُوع. (يُوحَنَّا ١٣: ٢٣؛ ١٩: ٢٦؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ٢٠، ٢٤). لم ينسَ يُوحَنَّا أبداً إختِبار كَونِهِ مَحبُوباً بالطريقة التي أحبَّهُ بها يسُوع. وبعدَ سِتِّينَ سنَةً، عندما دوَّنَ سفر الرُّؤيا وقدَّمَهُ ليسُوع، عَرَّفَ عن يسُوع بأنَّهُ: "الشَّاهِدُ الأمين، الذي أحَبَّنا وقد غَسَّلَنا من خَطايانا بِدَمِهِ وجعلَنا مُلُوكاً وكَهَنَةً." (رُؤيا ١: ٥)

بَينما كانَ يُوحَنَّا يُقدِّمُ السِّفرَ الأخير منَ الكتابِ المُقدَّس لِيَسُوع، ما هُو أوَّلُ شَيءٍ ذَكَرَهُ عن يسُوع؟ "الذي أحَبَّنا!" لقد أظهَرَ يسُوعُ محبَّتَهُ لِرُسُلِهِ بطُرُقٍ صَغيرة لثلاثِ سنواتٍ. وعندما غَسَلَ رِجلَيه، كانَ يُعَبِّرُ بِبَساطَةٍ عن محَبَّتِهِ بطريقَةٍ أُخرى. ولقد أظهَرَ لهؤُلاء الرِّجالِ أقصى مدى من محبَّتِهِ، عندما غسَلَ أرجُلَهُم. لاحِظُوا أنَّهُ أحبَّهُم بِطَرِيقَةٍ لم يَكُونُوا مُستَعِدِّينَ أن يُحِبُّوا بعضُهم البَعض بها. كانَ هذا جَوهَرُ هذا المِثال من محبَّتِهِ لهم.

سوفَ يُؤَكِّدُ يسُوعُ الرَّابِطَ بينَ محبَّتِهِ لهُم وغَسلِهِ لأرجُلِهِم، عندما أصدَرَ ما نُسمِّيهِ "الوصيَّةَ الجديدة." فلقد علَّمَ بِوُضُوحٍ أنَّهُم عليهِم أن يتبَعُوا مِثالَهُ بغَسلِ أرجُلِ بعضِهِم البَعض. الوَصِيَّة الجديدة ستُظهِرُ لهُم بِبَساطَةٍ

كيفَ ينبَغي عليهِم أن يُطَبِّقُوا ما قَصَدَهُ عندما قالَ لهُم أن يتبَعُوا مِثالَهُ وأن يَغسِلُوا بعضُهُم أرجُلَ بعض.

كانت وَصِيَّةُ يسُوع الجديدة هي: "أن تُحِبُّوا بعضُكُم بَعضاً. كما أحبَبتُكُم أنا تُحِبُّونَ بَعضُكُم بَعضاً. بِهذا يَعرِفُ الجَميعُ أنَّكُم تلاميذي إن كانَ لكُم حُبٌّ بعضُكُم لِبَعضٍ." (يُوحَنَّا ١٣: ٣٤، ٣٥) عندما غَسَلَ أرجُلَهُم، أحبَّهُم. وعندما قالَ لهُم أن يَتبَعُوا مِثالَهُ وأن يغسِلُوا بعضُهُم أرجُلَ بَعض، كانَ يُعَلِّمُهُم أن يُحِبُّوا بعضُهُم بعضاً، كما هُوَ أحبَّهُم لثلاثِ سنواتٍ، وكما أحبَّهُم بِغَسلِ أرجُلِهِم.

عندما إلتَحَقَ بهِ هؤُلاء الرِّجال للخُلوَةِ الأخيرَة، كانَ لدَيهِم جميعاً شَيءٌ واحِدٌ مُشتَرَك. لقد أحبُّوا يسُوعَ لأنَّ يسُوعَ أحبَّهُم. ولقد كتبَ يُوحَنَّا لاحِقاً، "نحنُ نُحِبُّهُ لأنَّهُ هُوَ أحَبَّنا أوَّلاً." (١يُوحَنَّا ٤: ١٩) لقد أحَبَّ يسُوعُ هؤُلاء الرِّجال، وهُم تجاوَبُوا معَ محبَّتِهِ هذه بأفضلِ ما يُمكِنُهُم. ولكن، عندما إلتَقى بهم يسُوعُ في العُلِّيَّة، كُلُّ ما نستَطيعُ قولَهُ هُوَ أنَّ يسُوعَ أحَبَّهُم وهُم أحَبُّوا يسُوع.

عندما أعطى يسُوعُ وصَيَّتَهُ الجَديدة للرُّسُل، كانَ جوهَرُ ما يَقُولُهُ لكُلِّ واحِدٍ منهُم: "أَتَرى أخاكَ الجالِس مُقابِلَكَ على المائِدة؟ أُريدُكَ أن تُحِبَّ هذا الشَّخص. وبالطريقةِ ذاتِها التي بها أحبَبتُكُم، أُوصيكَ الآن أن تُحِبَّ أخاكَ هذا." ولقد وعدَ تلاميذَهُ بنتيجتينِ ستحدُثان سُرعانَ ما يُطَبِّقُونَ هذه الوَصِيَّة: العالَمُ سيعلَمُ أنَّكُم تلاميذِي، وسوفَ تتبارَكُونَ بِكَثرَة.

إذا دَرستُم حياةَ هؤُلاء الرُّسُل، ستعلَمُونَ أنَّ البَعضَ منهُم كانُوا منَ الغَيُورين، أي أنَّهُم كانُوا يُؤمِنُونَ بمُتابَعَةِ المُقاومَة ضِدَّ الرُّومان رُغمَ كَونِهِم مُحتَلِّينَ من قِبَلِ رُوما. أحدُهُم كانَ يُدعَى سِمعان الغَيُور. ولكنَّ واحِداً آخرَ منهُم كانَ عَشَّاراً، الذي يَعني أنَّهُ لم يَكُن يُحارِبُ الرُّومان، بل كانَ يعمَلُ لِمَصلَحَتِهِم. كانَ يجمَعُ الضَّرائِبَ من إخوتِهِ اليَهُود. فأيُّ قاسَمٍ مُشتَرَكٍ كانَ يُمكِنُ أن يُوجَدَ بينَ الغَيُورِ والعَشَّار؟

أُحِبُّ أن أتَخَيَّلَ سِمعان الغَيُور جالِساً إلى المائِدَة مُقابِلَ مَتَّى. فتقابَلَت عيناهُما معاً. ثُمَّ نَظَرَ كُلٌّ منهُما إلى الأرض، ومن ثَمَّ نظرَ كِلاهُما إلى يسُوع مُجدَّداً. وبَدَت أعيُنُهما كِلاهما تسأَلانِ يسُوع، "هل تقصُدُ أنَّهُ عليَّ أن

أُحِبَّ هذا الشخص الذي يَجلِسُ مُقابِلي؟ هل تقصِدُ أن يَغسِلَ الغَيُورُ رِجلَي العشَّار، وأن يغسِلَ العَشَّارُ رِجلَي الغَيُور؟"

وكانَ يسُوعُ يُجيبُ بنظراتِ عينيهِ بما معناهُ: "تماماً. فعندَما سيسمَعُ العالَمُ أنَّ غَيُوراً يغسِلُ رِجلَي عَشَّار، وأنَّ عشَّاراً يغسِلُ رِجلَي غَيُور – وأنَّ غيُوراً يُحِبُّ عَشَّاراً، وأنَّ عشَّاراً يُحِبُّ غَيُوراً – سوفَ يعلَمُ النَّاسُ أنَّكُم تلاميذِي."

بعدَ البَدءِ بالخُلوَةِ بِعَمَلٍ رَمزِيٍّ عَميقٍ بغَسلِ أرجُلِ التَّلاميذ، صدَمَ يسُوعُ هؤُلاء الرِّجال بالأخبارِ المُحزِنة أنَّهُ كانَ سيَترُكُهم. فبَدَوا وكأنَّهُم فَهِمُوا أنَّهُ قَصَد موتَهُ، رُغمَ أنَّ هذا لم يَكُنْ أكيداً. لقد فَهِمُوا أنَّهُ كانَ يَقُولُ لهُم: "أنا سأذهَبُ بَعيداً ولا يُمكِنُكُم أن تأتُوا معِي." (يُوحَنَّا ١٣: ٣٦).

وقالَ لهُم أيضاً: "على ضَوءِ كَوني سأترُكُكُم، أُعطيكُم وَصِيَّةً جَديدة." بما أنَّ أُسلُوبَهُ كانَ إعطاءَ إيضاحٍ قبلَ التَّعليم، أو العِظة، سبقَ وأوضَحَ هذه الوصِيَّة الجديدة عندما غسَلَ أرجُلَهُم، ومن ثَمَّ طرحَ عليهِم السُّؤال: أتفهَمُونَ ما صَنعتُ بكُم؟" عندما غَسَلَ أرجُلَهُم، أظهَرَ لهُم أقصَى محبَّتِهِ، وعندما قالَ لهُم، "أنا غَسَلتُ أرجُلَكُم حتَّى تَغسِلُوا بعضُكُم أرجُلَ بعض،" كانَ يقصُدُ القَول، "إن كُنتُ قد أحبَبْتُكُم، أحِبُّوا بعضُكُم بعضاً."

لقد قُمنا أنا وزَوجَتي بتَربِيَةِ خَمسَةِ أولادٍ رائعين. ولقد أُخبِرنا أنَّ أفضَلَ طريقَةٍ لِتعريفِ أولادِنا على العلاقَةِ الصحيحَةِ بينَ الزَّوجِ والزَّوجَة، هي بإظهارِ عواطِفِ المحبَّةِ بينَ الزَّوجَين في حُضُورِ الأولاد. ذاتَ صباحٍ أظهَرنا أنا وَزوجتَي الكثير من عواطِفِ المحبَّةِ لِبَعضِنا في وقتِ الفُطُور، فسألَت إبنَتُنا قبلَ أن تُغادِرَ هي وإخوَتُها إلى المدرَسَة: "أهذا ما تفعَلانِهِ طوالَ النَّهارِ عندما نَكُونُ في المَدرَسة؟"

وبناءً على ما قِيلَ لنا، عندما تزوَّجَت إبنَتُنا، كانَ لَدَيها مَوقِفٌ إيجابِيٌّ تجاهَ علاقَةِ المحبَّةِ بينَ الزَّوجَين في بَيتِها، بِسَبَبِ ما لاحَظَتْهُ من محبَّةٍ صادِقَة بينَ والِدَيها كَمِثالٍ صالِح.

لقد كانَ يسُوعُ يَقُولُ لرُسُلِهِ أنَّهُ دَرَّبَهُم ثلاثَ سنواتٍ، وأنَّهُ كانَ يُعطيهِم مأمُوريَّةً لِيُشارِكُوا برِسالَةِ المحبَّة لعالَمٍ مَليءٍ بالعُنفِ والقَسوة. وكانَ يخبِرُهُم بِبَساطَةٍ أنَّ أفضَلَ طريقَةٍ لإيصالِ رِسالَةِ محبَّتِهِ للنَّاس، هي بأن يُحِبُّوا بعضُهُم بعضاً.

وفي غُضُونِ سنواتٍ قَليلَة، كانت الشُّعُوبُ الوثنيَّةُ القاسيَة تُشاهِدُ أتباعَ المسيح الذين كانُوا يُلقَونَ للمَوتِ بطُرُقٍ لا يُعَبَّرُ عنها في الملاعِبِ الرُّومانِيَّة. وبينما كانَ هؤُلاء المُؤمنُونَ بالمسيحِ يمُوتُونَ بالجماعاتِ، كانَتِ جُمُوعُ المُتَفَرِّجِينَ تقُولُ مُتَعجِّبَةً، "أُنظُرُوا كيفَ يُحبُّونَ بَعضُهُم بعضاً." يُخبِرُنا التَّاريخُ أَنَّهُ مرَّتْ أوقاتٌ كانَ فيها أُولئكَ الذينَ يُشاهِدُونَ المسيحيِّينَ يمُوتُونَ في حَلباتِ المُصارَعةِ الرُّومانِيَّة، إنضَمَّ فيها هؤُلاء الوثَنِيُّونَ إلى تلاميذِ يسُوع ليَمُوتُوا معَهُم بسببِ إعجابِهِم بالطريقةِ التي أَحَبُّوا فيها بعضُهُم بعضاً خلالَ مُواجَهَتِهِم للمَوتِ معاً.

عندما كتبَ يُوحَنَّا الرَّسُول رسالَتَهُ القَصيرَة التي نَجِدُها في نهايَةِ العهدِ الجَديد، أعطانا عشرَةَ أسبابٍ تُوجِبُ علينا أن نُحِبَّ بَعضُنا بعضاً (١يُوحَنَّا ٤: ٧- ٢١) يُخبِرُنا التَّقليدُ أَنَّهُ عندما أصبَحَ يُوحَنَّا شَيخاً طاعِناً في السِّنِّ، كانَ قد أصبحَ ضَعيفاً لدَرَجةِ أَنَّهُ كانَ يُحمَلُ إلى إجتماعاتِ الكنيسة. وكانَ يُبارِكُ الجماعَةَ بِصَوتٍ ضَعيفٍ، وهُوَ يَقولُ: "يا أولادِي، أحِبُّوا بعضُكُم بَعضاً." لقد فَهِمَ رَسُولُ المَحَبَّةِ وَصِيَّةَ يسُوع الجديدة.

عَهدٌ جَديدٌ ومُجتَمَعٌ جَديد

عندَما أعطَى الوَصِيَّةَ الجديدةَ في العُلِّيَّة، قالَ لتلاميذِهِ ما معناهُ: "لقد إلتَزَمتُم بي وأنا إلتَزَمتُ بكُم. أنتُم في عَهدٍ معِي وأنا في عَهدٍ معَكُم. لقد قَدَّمتُ هذا العهد لكُم عندما قدَّمتُ لكُم هذا التَّحدِّي: "هَلُمُّوا ورائِي فأجعَلَكُم." (متَّى ٤: ١٩) لقدِ إلتَزمتُم بأن تَتبَعُونِي، وأنا إلتَزَمتُ بأن أجعَلَ منكُم واحِداً من حُلُولي وأجوبَتي لثلاثِ سنواتٍ. ولكن الآن أنا أُوصيكُم أن تَقطَعُوا عهداً وأن تَلتَزِمُوا بَعضُكُم بِبَعضٍ. أحِبُّوا بعضُكُم بعضاً بالطَّريقَةِ نفسِها التي بها أحبَبتُكُم خلال الثلاث سنين التي قَضَيتُها معَكُم."

هذا هُوَ رُوحُ وجوهَرُ الطَّريقَة التي بها بدَأَ يسُوعُ عظَتَهُ في العُلِّيَّة، وكذلكَ فيما يختَصُّ بالوصيَّةِ الجديدة التي عَلَّمَتِ الرُّسُلَ بأن يُطَبِّقُوا الحقيقَةَ التي عَلَّمَها بحَرَكاتٍ دراماتِيكَّة بدأَ بها خُلوَتَهُ المسيحيَّة الأخيرة. الوَصِيَّةُ الجديدةُ عَرَّفَتِ الرُّسُلَ إلى فِكرَةِ العهدِ الجديد، وهذا العهدُ الجديدُ خلقَ مُجتَمَعاً جديداً. هذا المُجتَمَعُ الجديدُ هُو ما نُسمِّيهِ كنيسة اليوم. علينا جميعاً أن نُصَلِّيَ لِكَي تَكَونَ الكنيسَةُ التي نحنُ فيها أعضاء، لِكَي تَكُونَ مُجتَمَعَ

محَبَّةٍ، كما خَطَّطَ لها يسُوعُ أن تَكُون عندما أعطَى وَصِيَّتَهُ الجديدة للرُّسُلِ في العُلِّيَّة.

خـتَمَ يسُـوعُ مُقَدِّمَتَـهُ لهـذه الخُلـوة المسيحيَّة الأخيـرة بوصـفٍ جميـلٍ للإيمان: "إن عَلِمتُم هذا، فطُوبـاكُم إن عَمِلتُمُوهُ." (أعمـال ١٣: ١٧) تُؤمِنُ الكثيرُ منَ الحضاراتِ اليوم بأنَّ المعرِفَة هي فَضيلَة – بمقدارِ ما تعرِفُ، بمقـدارِ مـا تـزدادُ فضـيلَتُكَ أو تقـواكَ. لا مكـانَ لطريقَـةِ التَّفكيـر هـذه فـي الكنيسة، لأنَّها تتجاهَلُ القِيَمَ والحقيقَةَ التي علَّمَها يسُوعُ وأعطَى عنها مِثالاً في عظَةِ العُلِّيَة. لقد عَلَّمَ يسُوعُ أنَّ ما نعمَلُـهُ حيـالَ مـا نعلَمُـهُ هُوَ مـا يجعَلُنـا أتقِياء.

عبرَ الأناجيل الأربَعة، نقرَأُ أنَّ يسُـوعَ أعطـى قيمَـةً أكبَـر لـلأداءِ ممَّـا أعطاهُ للمَنصِب (متَّى ٢١: ٢٨- ٣١). ولقد عَلَّمَ أنَّنا نتأكَّدُ من أنَّ تعليمَهُ هُوَ منَ الله، عندما نقتَرِبُ من تعليمِهِ برَغبَةٍ بأن نعمَلَ بهِ بدلَ الرَّغبَة بأن نعلمَهُ فقَط. بِكَلِماتٍ أُخرى، علَّمَ أنَّ العَمَلَ يَقُودُ إلى العِلم، بينَما مُعظَمُ العالم يُؤمِنُ أنَّ العِلمَ يَقُودُ إلى العَمَل (يُوحَنَّا ٧: ١٧).

بِحَسَبِ يسُوع، ليسَت معرِفَةُ ما عَلَّمَ بـهِ عندما غَسَلَ أرجُلَ التَّلاميذ هُوَ ما سيُبارِكُ حياةَ وعلاقاتِ الرُّسُل. بل سيتبارَكُونَ عندما سيَعمَلُونَ ما عَلَّمَهُم بمثالِهِ الذي أعطـاهُ فـي الخُلـوَةِ المسيحيَّةِ الأخيرة. لقدِ إختَتَمَ يسُوعُ خُلوَتَهُ المسيحيَّة الأُولى بإيضاحٍ عَميقٍ عنِ الفَرقِ بينَ أولئكَ منَ تلاميذِهِ الذين سَمِعُوا كَلِمتَـهُ وطبَّقُوا مـا سَمِعُوهُ، وأُولئكَ الذينَ إكتَفُوا بالسَّمعِ ولم يُطَبِّقُوا أبداً ما سَمِعُوهُ (متَّى ٧: ٢٤- ٢٧).

العَمَـلُ الرَّمـزِيُّ العميـقُ الـذي بـهِ بـدَأَ يسُـوعُ هـذه العِظَـة والوصـيَّة الجديدة التي تُفَسِّرُ وتُطَبِّقُ محبَّتَـهُ للرُّسُل، هـي الأسـاسُ الـذي ستُبنَـى عليـهِ كنيسةُ المسيح. فكُلُّ كَنيسَـةٍ غير مَبنِيَّـة علـى أسـاسِ محبَّـةِ المسيح، وعلـى أسـاسِ محبَّـةِ المُؤمنينَ لبَعضِـهم البَعض، ستَسـقُطُ عنـدما ستَهُبُّ عواصِـفُ المشـاكِلِ مـنَ الـدَّاخِلِ والخـارِج علـى هـذه الكنيسـة. الكنيسـةُ المَبنِيَّـةُ علـى الوَصِيَّةِ الجديدة، وعلى الطَّريقَة التي بدأَ بها يسُوعُ أطوَلَ عظَةٍ من عظاتِهِ، هي التي سَتثبُتُ لأنَّهَا مُؤَسَّسَةٌ على صَخرَةِ المسيح الحَيِّ المُقام.

"هَل أنا" (يُوحَنَّا ١٣: ١٨- ٣٨)

بَينَ العملِ الرَّمزِيِّ بغسلِ أرجُلِ التَّلاميذ وبينَ الوَصِيَّةِ الجديدة، أضافَ يسُوعُ على التَّصريحِ الذي قدَّمَهُ مُسبَقاً بأنَّهُ لم يَكُنْ كُلُّ الرُّسُل أنقِياء، وأنَّهُ عرَفَ أيَّاً منهُم سيُسلِمُهُ.

قالَ يسُوعُ في العدد ١٨: "لَستُ أقُولُ عن جَميعِكُم. أنا أعلَمُ الذينَ إختَرتُهُم. لكن لِيَتِمَّ الكِتابُ. االذي يأكُلُ معِي الخُبزَ رَفَعَ عليَّ عَقِبَهُ. أقُولُ لكُم الآن قبلَ أن يَكُونَ حتَّى متى كانَ تُؤمِنُون أنِّي أنا هُو. الحقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم، الذي يَقبَلُ من أُرسِلُهُ يقبَلُني. والذي يقبَلُني يقبَلُ الذي أرسَلَني." (يُوحَنَّا ١٣: ١٨- ٢٠)

لمَّا قالَ يسُوعُ هذا، إضطَّرَبَ بالرُّوحِ وشَهِدَ وقال: الحقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم إنَّ واحِداً منكُم سيُسَلِّمُني. فكانَ التَّلاميذُ ينظُرُونَ بَعضُهُم إلى بَعضٍ وهُم مُحتارُونَ في مَن قالَ عنهُ. وكانَ مُتَّكِئاً في حِضنِ يسُوع واحِدٌ من تلاميذِهِ كانَ يسُوعُ يُحِبُّهُ. فأومأَ إليهِ سِمعانُ بُطرُسُ أن يسأَلَ من عَسَى أن يَكُونَ الذي قالَ عنهُ. فإتَّكَأَ ذاكَ على صَدرِ يسُوع وقالَ يا سَيِّد من هُو. أجابَ يسُوعُ وقالَ هُوَ ذاكَ الذي أَغمِسُ أنا اللُّقمَةَ وأُعطِيهِ." (٢١- ٢٦).

"فغمَسَ اللُّقمَةَ وأعطاها لِيَهُوَّذا سِمعان الإسخَريُوطِيّ. فبَعدَ اللُّقمَة دَخَلَهُ الشَّيطان. فقالَ لهُ يسُوعُ ما أنتَ تعمَلُهُ فاعمَلْهُ بأَكثَرِ سُرعَةٍ. وأمَّا هذا فلم يفهَمْ أحَدٌ منَ المُتَّكِئِينَ لماذا كلَّمَهُ بهِ. لأنَّ قوماً إذ كانَ الصُّندُوقُ معَ يَهُوَّذا ظَنُّوا أنَّ يسُوع قالَ لهُ إشتَرِ ما نحتاجُ إليهِ لِلعِيد. أو أن يُعطِيَ شَيئاً لِلفُقَراء. فَذاكَ لمَّا أخَذَ اللُّقمَةَ خَرَجَ لِلوَقتِ. وكانَ لَيلاً." (٢٦- ٣٠).

هذه هي قِصَّةُ خيانَةِ يسُوع الجَديرَة بالإهتِمام. لاحِظُوا أنَّ يُوحَنَّا يُصِرُّ على ذكرِ أنَّ ما يُخبِرُنا بهِ كانَ إتماماً للنُّبُوَّات. بالإضافَةِ إلى تكرارِ هذه المُلاحَظة مراراً، هُناكَ تشديدٌ على أنَّ بعضَ الأحداثِ كانت تحتَ سَيطَرَةِ العنايَةِ الإلهيَّةِ لإلهٍ كامِلِ السِّيادَة. نَجِدُ هذا النَّوع منَ التَّعليقَ عبرَ إنجيلِ يُوحَنَّا بكامِلِهِ.

نسمَعُ هذه الحقائِق ذاتِها من يسُوع في هذا المقطَع، عندما يقتَبِسُ يُوحَنَّا يسُوعَ وهُوَ يَقُولُ: "أنتُم طاهِرُونَ، ولكن لَيسَ كُلّكُم، لأنِّي أعرِفُ الذين إختَرتُهُم. ولكنَّ واحِداً منكُم يُسَلِّمُني. وهذا ما سيُتَمِّمُ النُّبُوَّات. "الآكِلُ خُبزِي رَفَعَ عليَّ عقِبَهُ." (١٨، ٢٦)

في تلكَ الأيَّام، كانَ التَّعبيرُ الأكثَر حَميميَّةً عنِ الصَّداقة، أن يتَّكِئَ الأصدِقاءُ حولَ مائِدَةِ الطَّعامِ لِتَناوُلِ الطَّعامِ من طَبَقٍ واحِد. أن تجلِسَ إلى مائِدَةِ أحدِهم، وأن تكسِرَ الخُبزَ معَهُ، وأن لا تَكُونَ صَديقاً وَفِيَّاً، كانَ هذا التَّصرُّفُ يُعتَبَرُ قِمَّةَ الخِيانَة.

بِحَسَبِ الأناجيل، عندما أخبَرَهُم يسُوعُ أنَّ واحِداً منهُم كانَ سيَخُونُهُ ويُسَلِّمُهُ، سأَلَ كُلُّ واحِدٍ منهُم، "هل أنا يا سَيِّد؟" (متَّى ٢٦: ٢٢؛ مرقُس ١٤: ١٩). تُحَيِّرُني الطَّريقَةُ التي بها تجاوَبَ كُلٌّ منهُم معَ حقيقَةِ أنَّ واحِداً منهُم كانَ سيُسلِمُ رَبَّهُم يسُوع. تأمَّلُوا كيفَ كَشَفَ هذا الأمرُ عدَم شُعُور الرُّسُل بالثِّقَةِ والأمان. وكم كانَ إيمانُهُم وإلتِزامُهُم سَريعَ العَطَب عِندَما قَضَوا هذه السَّاعاتِ الأخيرَة معَ يسُوع، قَبلَ أن يَذهَبَ إلى الصَّليب ليَمُوتَ من أجلِ خلاصِهم.

لقد صَحَّ هذا بِشَكلٍ خاصٍّ على الرَّسُول بُطرُس. ينتَهي هذا الإصحاحُ معَ الرَّبِّ يسُوع وهُوَ يتنبَّأُ بنُكرانِ بُطرُس لهُ ثلاثَ مرَّات. حاوِلُوا أن تتصوَّرُوا الإضطِّراب الذي أصابَ بطرُس في قَلبِهِ عندما سَمِعَ الرَّبَّ يَقُولُ لهُ أنَّهُ قبلَ أن يَصيحَ الدِّيكُ سيُنكِرُهُ بُطرُس ثلاثَ مرَّاتٍ. لقد كانَ بُطرُس الفُرصَةَ التي أعطَتْ يسُوعَ مَجالاً ليُعَلِّمَ هذه الحقائق الرَّائِعَة، في إطارِ غَسلِ أرجُلِ بُطرُس وباقِي الرُّسُل من قِبَلِ الرَّبّ يسُوع نفسِهِ. لقد أصبَحَ بُطرُس الآن الشَّرارَةَ التي حوَّلَت هذه العِظَة إلى حِوارٍ بينَ يسُوع وهؤُلاء الأحد عشَر.

كانَ التَّنبُّؤُ بِنُكرانِهِ جواباً على سُؤالَينِ طرَحُهما بُطرُس. ففي تدريبِ يسُوع لهؤُلاء الرُّسُل، منَ الواضِحِ أنَّ أُسلُوبَ يسُوع في التَّعليم كانَ المَقصُود منهُ تشجيع لا بَل إستِدراج التلاميذ ليَطرَحُوا أسئِلَةً. مثلاً، تصريحُ يسُوعُ أنَّهُ كانَ ماضٍ إلى حَيثُ لا يَستَطيعُونَ أن يُرافِقُوهُ، كانَ هذا هُوَ ما دَعا بُطرُس ليَطرَحَ السُّؤالَين: "يا سَيِّد إلى أينَ تَذهَبُ؟ إنِّي أضَعُ نَفسي عنكَ." (١٣: ٣٦، ٣٧).

الطريقَةُ التي ينتَهِي بها هذا الإصحاحُ الثَّالِث عَشَر تُعطِينا مِثالاً آخَر من مبادِئِ دَرسِ الكتابِ المُقدَّس، الذي شارَكتُهُ معَكُم في دراسَةِ الكُتَيِّب الخامِس والعشرين – أنَّنا لا ينبَغي أبداً أن ندعَ تقسيمَ الإصحاحاتِ أن يقطَعَ تسلسُلَ الأفكارِ خلالَ قراءَتِنا للكتابِ المُقدَّس. هذانِ السُّؤالانِ اللذانِ

طرَحُهما بُطرُس، أثاراَ أسئِلَةً من تُوما، فيلبُّس والرَّسُول يَهُوَّذا، التي طَرحَها يسُوع وأجابَ عليها أمامَ التَّلاميذ وغيرهم في الإصحاح ١٣.

أجابَ يسُوعُ على أسئِلَةِ بُطرُس في نهايَةِ هذا الإصحاح، ولكنَّهُ أجابَ على أسئِلَةِ بُطرُس وأسئِلَةِ أُولئِكَ الرُّسُلِ الآخرين في الإصحاحِ الرَّابِع عَشَر. أسئِلَةُ هؤُلاءِ الرُّسُلِ الأربعة، خاصَّةً أجوبَةُ يسُوع على أسئِلَتِهِم، تُعتَبَرُ مفتاحَ الإصحاحِ الرَّابِع عشَر من إنجيلِ يُوحَنَّا. خلفِيَّةُ الإصحاحِ الرَّابِع عَشَر تُوجَدُ بالفِعل في خاتِمَةِ الإصحاحِ الثَّالِث عشَر.

بينَما تقرَأُونَ الإصحاحَ التَّالِي من هذا الإنجيلِ العَميق، فتَّشُوا عن الأجوبَة على الأسئِلَةِ التي طَرَحَها بُطرُس في نهايَةِ هذ ا الإصحاح، ولاحِظُوا أسئِلَةَ باقِي الرُّسُل. رَكِّزُوا بالتأكيدِ في دِراسَتِكُم على أجوبَةِ يسُوع على أسئِلَتِهِم. فأجوبَتُهُ هي جوهَرُ عِظَتِهِ الطَّويلَة.

بينما أختَتِمُ تفسيري لإصحاحٍ آخر من هذا الإنجيلِ المَجيد، ولكَي أُلَخِّصَ أوَّلَ أربَعِ إصحاحاتٍ تتكلَّمُ عنِ عِظَةِ يسُوع في العُلِّيَّة، عليَّ أن أرجِعَ إلى الأسئِلَةِ التي كنتُ أطرَحُها عبرَ هذه الدِّراسَة بكامِلِها.

من هُوَ يسُوع؟ في هذا الإصحاح، يسُوعُ هُوَ الرَّبُّ والمُعَلِّمُ المُتواضِعُ، الذي يأخُذُ دَورَ عَبدٍ ويخدُمُ تلاميذَهُ بِغَسلِ أرجُلِهم، مُظهِراً لهُم محبَّتَهُ القُصوَى. إنَّهُ الرَّبُّ المُحِبُّ، الذي يُحِبُّ رُسُلَهُ ويُوصِيهم بأن يُحِبُّوا بَعضُهُم بعضاً كما هُوَ أحبَّهُم.

وما هُوَ الإيمانُ؟ الإيمانُ هُوَ ما نعمَلُهُ حِيالَ ما نعلَمُهُ. الإيمانُ هُوَ أن نُطَبِّقَ في علاقَتِنا معَ الرَّبِّ وفي كُلِّ علاقَاتِنا معَ النَّاس، كُلَّ ما تَعَلَّمناهُ من يسُوع عنِ التَّواضُعِ والمحبَّة. الإيمانُ هُوَ أن نسألَ الرَّبَّ، ومن ثَمَّ الناسَ الذين نلتَقيهِم في حَياتِنا، "كيفَ أستَطيعُ أن أخدُمَكَ؟" الإيمانُ هُوَ أن نسأَلَ أنفُسَنا إن كُنَّا وَطَنَ المَحَبَّةِ الذي يُريدُنا الرَّبُّ أن نَكُونَهُ، ثُمَّ أن نُجاهِدَ لنَتبَعَ مِثالَ الرَّبّ. الإيمانُ هُوَ أن نطرَحَ السُّؤال: "لو إتُّهِمنا بأنَّنا نُحِبُّ بَعضُنا بعضاً كما أحبَّ مُؤمِنُو القَرنِ الأوَّل بعضُهُم بَعضاً، فهَل سيَكُونُ هُناكَ ما يكفي منَ الأدِلَّةِ ليَثبُتَ علَينا هذا الإتِّهام؟ إن لَم يَكُن هُناكَ ما يكفي منَ الأدِلَّة، عندَها سيَكُونُ الإيمانُ أن نعمَلَ ما يُمكِنُ أن يُحدِثَ هكذا أدِلَّة – أن نُحِبَّ بَعضُنا بعضاً كما أحَبَّنا يسُوع (٣٤).

وما هِيَ الحياةُ؟ الحَياةُ هِيَ ما نَختَبِرُهُ عندما نُحَبُّ بِدُونِ شُرُوطٍ، كما أحَبَّ المسيحُ الرُّسُلَ. الحَياةُ هي كُلُّ ما نَختَبِرُهُ عندما نُحِبُّ ونُحَبُّ بمحبَّةِ المسيح.

صَلاتي هي أن تتعرَّفُوا إلى يسُوع، وأن تَصِلُوا إلى إيمانٍ أقوى وأن تختَبِرُوا تلكَ النَّوعِيَّة منَ الحياة التي أرادَها الرَّبُّ لكُم من خلالِ دِراسَتِنا معاً لإنجيلِ يُوحَنَّا. فلقد تعلَّمنا معاً الكَثيرَ من دِراسَتِنا للإصحاحات ١١ - ١٤ من إنجيلِ يُوحَنَّا. وعلينا أن نختُمَ هذا الكُتَيِّب هُنا، ولكنِّي أُشَجِّعُكُم أن تطلُبُوا الحُصُولَ على الكُتَيِّب رَقم ٢٧، الذي يُتابِعُ من حَيثُ ننتَهي هُنا، دراسَةَ إنجيلِ يُوحَنَّا، عدداً بعدَ الآخر. أختُمُ بكَلماتِ الرِّبِّ يسُوع المسيح القائِلة، "وَصِيَّةً جَديدَةً أنا أُعطيكُم، أن تُحِبُّوا بَعضُكُم بَعضاً؛ كما أحبَبْتُكُم أنا تُحِبُّونَ أنتُم أيضاً بَعضُكُم بَعضاً." (يُوحَنَّا ١٣: ٣٤).

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل